رواية

استراحة
فى
الباويطى

عبد الناصر العُطيفى

الطبعة الثانية
الكتاب : استراحة فى الباويطى
المؤلف : عبد الناصر العُطيفى
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : محمد جمال
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١١٨٨٢ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 064 - 5

دار يسطرون

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم
بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى التاريخ ...

ليتك تتجمّل ، ولا تكذب !!

الإهداء الخاص

إلى «الواحات»

وإلى أهلها الطيبين

فى حضرة قلوبكم ..

أسكب مشاعرى

قصصا للعشق ؛ فتصير أنشودة شوق

دائم للقياكم .

عبد الناصر العُطيفى

- ١ -

لم يخطر ببالي ..أن يكون مجموعي فى " الثانوية العامة " متسبباً فى أن أعمل بالتدريس ، أو يجبرني على ذلك ..

تلك المهنة كنت أمقتها وأنا في سن مبكرة من عمري الغابر؛ فما يحدث للمدرسين أمام عينيّ .. من إهانات و إساءة ، وما يعرض ـ يومياً ـ على صفحات الجرائد ، وفي برامج التليفزيون من جرائم .. يكون المدرّس طرفاً فيها ، كل ذلك جعلني

أنفر ، و أشمئز من تلك المهنة !

أذكر وأنا طالب في الإعدادي حين دخل الأستاذ «عبد الحفيظ» الفصل ، وكان يدرّس " المواد الاجتماعية " .. وجد الجميع أسفل المقاعد .. لم يتأثر .. أخذ ـ كعادته ـ يتعامل مع «السبورة» ظل يكتب ، ويكتب حتى امتلأت ؛ فاتجه إلى حوافها ثم أكمل على الحائط المجاور ...كان عائداً لتوّه من الأَسْرِ، كما عرفنا فيما بعد ..قضى في سجون إسرائيل قرابة سبع سنوات ؛ حتى جاءت انتصارات أكتوبر، وتم تحريره ....

ظللنا أسفل المقاعد نرسل أصوات القطط ، والغربان، وما تيسّر من أصوات الحيوانات ، والأستاذ عبد الحفيظ مسترسل في الشرح ، و كأنه يكلّم نفسه ...

لم أندم على شيء فعلته في حياتي .. قدر ندمي على مشاركتي في

مثل هذه الأفعال ...

أتذكر ذلك فيتملكني شعور بالضحك ، ثم شعور بالذنب.. أقول لنفسي :

– مرحلة طيش ، وشباب ... الجميع يمرّ بها.. مَن منّا لم يقم بمثل هذه الأفعال وربما أكثر ؟!

التدريس – بالنسبة لي – كان بمثابة القبر الذي تدفن فيه الأحلام ، و توئد فيه الأمنيات !

★★★

أهّلني مجموعي في الثانوية العامة لأن أفاضل بين كلية «التربية» ، و «الآداب» ، و"الحقوق"، و" التجارة " ، و» دار العلوم»،"التربية" كانت مستبعدة تماماً ؛ فخرّيجوها يجبرون على العمل مدرسين ، بموجب أمر التكليف وقتها، والتصقت بها «الآداب» كذلك ، أما «الحقوق» فكنت أمقت مجرد سيرتها ..... في تلك الآونة أطلقوا عليها كلّية من لا كليّة له ! .....

لم يكن بينها وبين المعاهد الفنية سوى نصف بالمائة، هكذا ذابت الفوارق ؛لذا لم أشغل بالي بها لحظة ، و أما « التجارة " فكانت – بالنسبة لي – خسارة ..وأي خسارة ؟!

و أنا الذي التحقت بالقسم " الأدبي» هروباً من الرياضيات والمسائل الحسابية ..

لم يبق أمامي سوى « دار العلوم " .. دار العلوم كلية الأدباء ، والفقهاء على حدٍ سواء .. تتمتع ـ وقتها – بسمعة طيبة ، ويكفيها سيرتها الأولى ... دخلت عن اقتناع ، و أنا موقن أني سأحقق شيئا مما أحلم به ، ومع هذا خرجتني "دار العلوم" للحياة العملية مدرساً ! !

★★★

كانت الثانوية العامة مصدرا لشقائى . ...

وأنا مدرس .... «الجزاء» الوحيد الذي لحقني ، طيلة عشرين عاماً .. كان بسبب نصف درجة .. في أعمال «تقدير الدرجات» لم أحتسبه سهواً .. كان العقاب سريعاً ، ومباشراً ... شهران جزاء ، وحرمان من أعمال الامتحانات خمس سنوات !

ومن يومها لم أسلم من نظرات الزملاء التى تلاحقنى أينما حللت ، كانت بمثابة اللعنة التى لازمتنى ولا أرى لها وقتا لمفارقتى !

★★★

مبكـراً ، وعلـى غـير الموعـد رنّ هاتفـي .. تحسّسـته علـى الوسـادة بجـوار رأسـي ..جاءنـي الصـوت ـــ علـى اسـتحياء ـ يخبرنـي أنـه قـد تم انتدابـي لأعمـال امتحانـات الثانويـة العامة، وانقطعـت المكالمـة

قمتُ على أثرها مفزوعاً .. أبحثُ عن «شبشب الحمام»

★★★

الثانويـة العامـة تتسـبب هـذا العـام في أن أتـرك صغـاري للمـرة الأولى ، وأغيـب عنهـم قرابـة الشـهر !

ربمـا كان الأمـر عاديـاً ، لـو أن الأولاد كانـوا قـد تخطّـوا مرحلـة الطفولـة النابتـة ، أو لـو أنـني كنـت فعلتهـا قبـل ذلـك، وتركتهـم في ظـرف مماثـل ....أخمـاس في أسـداس .. صـراع يـأكل رأسـي .. استسـلمت للتفكـير والحسـابات .

أعلـم جيـداً أنـه لا مجـال للاعتـذار .. ولـو حاولـت كان لزامـاً علـيّ أن أتوجّـه إلى «التأمـين الصحي».كيـف لـي وأنـا الـذي أقاطـع مستشـفياته ؟!

منـذ عامـين أجريـت فحوصـات خاصـة « بحصـوة الكُلـى».. جـاءتْ النتائـج علـى عكـس الواقـع .. ظللـتُ أتعـالج قرابـة العـام ، وآخـذ عقاقـير ليـس لهـا علاقـة بالحصـوة .

اتخـذت قـراري الحاسـم .. أنهـم لـو فرشـوا لـي الأرض ذهبـاً؛ مـا ذهبـت إلى ذلـك التأمـين ، أومستشـفياته الميّتـة.

★★★

"الواحات " سفر .. إقامة طويلة بعيداً عن الصغار .. تغيير الجو .. حكايات الذين سبقوا للقيام بهذه المهمة في الأعوام الماضية .. كل ذلك يتصارع في ذهني ، وأنا قابع في ركن الغُرفة .. أتقوقع في الكرسي .. أقلّب الأخماس في الأسداس ...

أصغر الأولاد لم يتجاوز الثالثة .. يتقلّب في السرير متأففاً من الحرّ.. أخته التي تكبره بعامين تستحثني أن أسقيها ... أخوهما الأكبر .. تجاوز المرحلة الابتدائيةهذا العام .. ينام نهاره ، ويقضي ليله مختلياً «بالكمبيوتر» ...

مابين الألعاب و «الفيسبوك" ، وأمهم في السرير .. جثّه تدبّ فيها الحياة من حين لآخر ؛ فتتململ ، وكأنها تستجيب لملائكة الحساب !

★★★

" الواحات " ذباب متوحّش بالنهار ، و" ناموس" ضارٍ بالليل ، وقد تزحف الهوام والعقارب إلى السرير ....

تنبعث من مراتب الأسفنج حرارة .. تستقبل القادمين الذين يأتون من السّنة للسّنة .

تصفع ظهورهم ، وجنوبهم .. يتقلّبون عليها كالشّواء .. عشرة مدرّسين في الغرفة الواحدة ينشدون النوم .. يسرقونه ؛

ليتأهبوا للجان المنعقدة على روح الثانوية العامة ....

صافرات الإنذار داخل الغرفة لا تنفك تتوقف .. تلاحق طنين الذباب .. يبقى الشخير سلاحاً وحيداً .. في مواجهة جيوش الناموس الضارية ، وتبقى المراوح المدلاة من السقف تنعق مستسلمة .. لا صوت يعلو فوق صوتها سوى الشخير قبيل الفجر ، وطنين الذباب من بعده ...

"الواحات " مياه حمراء .. ساخنة .. تنزل على الجسد؛ فتكسوه بطبقة حديدية .. لا تتآكل إلا بفعل العرق النازف .... صور لا تنفك تفارق مخيلتي ...قليل من التفكير ، وقليل من الوقت !

أذهب وأتحمّل شظف الحياة ، وأعايش تلك الصور ؟

أأترك – هنا – الصغار الذين لم يتعودوا على غيابي ليلة واحدة ؟

فكيف بشهر كامل ؟!ومَن لهم يلبّي متطلّباتهم في غيابي؟!

الآن أصبحت ألوم نفسي ؛ لأني تحملت مسئوليتهم في الكبيرة والصغيرة ، ولم أترك لهم فراغاً يسدونه بأنفسهم أو بمعاونة أمّهم .... هل أعتذر ؟

الاعتذار لا يُقبل إلا بخطاب موجه من التأمين الصحي الذي جعلتُ بيني ، وبينه حجابا !

★★★

قالت زوجتي بعد مناكفه :

– قوم نام وربك يدبرها .

رمقتها بعينين يحاصرهما الانكسار،ثم سرحت في بُعد المسافة ، وطول الفترة الزمنية ... تجذبني الصحراء الممتدة، ويأسرني السّراب المترامي كأمواج البحر .. أخذني الطريق الملتوي .. الطويل .. الضارب بمخالبه في الصحراء إلى القرار

النهائي واضعاً في حساباتي حجم الصعوبات والمعاناة ... بريق التجربة يلمع في عينيّ .. يستولي على خططي التي حاولت تجهيزها من أجل «الاعتذار» ...

مضى الوقت ولم يبقَ لي إلا ساعات قليلة ، وتطأ أقدامي أرض " الواحات "تلك الأرض البكر التي يقصدها السائحون شتاءً ، كما أخبرتنا كتب الجغرافيا

★★★

وأنا أبحر في الذاكرة .. اصطدمت بموجة المغامرة .. تلك الموجة التي ركبتهامن زمن ليس بالقصير ، ثم تخلّيت عنها مستجيبا لقهر الواقع ....جاءتني الفرصة للاستصلاح في «الواحات»، والانعتاق من براثن الغابة القاهرية ، ووحوشها الكاسرة .. غير أن الفرصة كانت مشروطة بالمقايضة ؛فإما التنازل عن مشروع الزواج بصورة مؤقّتة ، ذلك المشروع

الـذى ظللـتُ عشـر سـنوات أعـدّ لـه العـدة ، أو الاسـتثمار فـى أرض الواحـات البكـر .. عُرِضـتْ الفكـرة علـىّ .. انتصـر لهـا أخـى الأكـبر ، لكـنّ والـدى رفضهـا رفضـا تامـا ، ولم أكـن لأغضـب والـدى فـى صغـير ؛ فكيـف لى أن أغضبـه فـى كبـير ؟!

ومرضـاة لوالـدى وضعـت المبلـغ الـذى عملـت علـى توفـيره، لعشـر سـنوات خلـت فـى مشـروع الـزواج ، واسـتصلاحا لأيامـى التـى بـدت تتصحّـر !! مـن يومهـا ، وأنـا أعيـش تائهـا فـى أدغـال الغابـة القاهريـة ، ولم أعـد اذكـر الواحـات

إلا فـى المناسـبات ...وهـا أنـا ذا أعيـد صياغـة المشـروع الـذى كان أخـى الأكـبر ينتصـر لـه مـن قبـل ، وتحطّـم أمـام إلحـاح والـدى .. لعـلّ الظـروف أصبحـت مواتيـة الآن ...عقلـى ينتصـر للمشـروع الـذى اكتمـل فـى خيـالى ، ونضجـت ثمـاره ، غـير أن قلبـى يقـف

حائـط صـدّ؛ حيـث إنـه معلّـق بأهـداب الأسـرة الغضّـة .. تتقلّـب زوجتـى فـى السـرير متأففـة ، ثم يأتى صوتهـا المتضجّـر :

– قوم نام ، والصّباح رباح .

اسـترخيت ممـددا جسـدى علـى « كنبـة الأنتريـه».. مسـلما رأسـى لذراعـى ، ومغمضـا عينـى .. يـتراءى لى الطريـق ، وتمتـد المسـاحات الشاسـعة .. أسـبح خلالهـا ببصـرى ، وأعـود .

-٢-

كالملهوف يدور حول الأتوبيس ..عيناه تتفحصان الإطارات، ثم وهو ينفث الدخان .. يتأكد من وضع الحقائب بنفسه داخل بطن الأتوبيس ، وبعد أن يطمئن يقف في منتصف

سلم الباب الأمامي .. سبابته اليمنى تتحرك آليا ، وكأنه يعطي التحية للركاب ، وفي حركة خاطفة كحركة الصقر المنقض على فريسته يُحكِم قبضته على عجلة القيادة، وبشفتين يابستين يقبض على ما تبقّى من السيجارة .. يصوّب بصره إلى المرآة ...

– توكلنا على الله .. يا مسهل يا رب .

يقولها وهو يمسح الزجاج الأمامي ، و«التابلوه» ....

الساعة العاشرة صباحاً .. يستطيع مَن هم في محطة «الترجمان» أن يضبطوا ساعاتهم عليه .. ينطلق الأتوبيس تحت أرجل «الأسطى هواري» ، وذراعيه المكشوفتين ذات

العروق النافرة .. يعلو ويهبط ، ويتراقص .. يدفعه ـــ ربما ـــ الشعور بالفرحة لانعتاقه من سجن القاهرة .. ذلك السجن المكتظ !يضبط السرعة على تسعين كيلو .. ويترك العنان لسيارته .. أقسم أنه عندما كان شاباً كان يضبط السرعة على مائة وعشرين ... حكى أنه ذات مرة .. احتدم الجدال حول شخصية الزعيم عبد الناصر ، والرئيس السادات ، وكاد الركّاب يشتبكون بالأيدي .. قرر ألا يكمل الرحلة حتى يتوقف الركّاب عن الكلام في السياسة ، والخوض في مستنقعاتها ، ووجع الدماغ . على حد وصفه ...

قال وهو يشير إلى الكرسي الذي يجلس عليه :

– الكرسي ده أهم من كرسي الرياسة !

وقال عبارته الأخيرة قبل أن يستأنف الرحلة :

– السياسة نجاسة

ثُم أطلق ضحكته ، واستأنف ، ليقبض على عجلة القيادة وهو يردد "توكلنا على الله"

★★★

يترامى البصر .. لا يروم شيئاً يتحرك بطول الطريق سوى السيارة التي تقلّنا .. مستسلمة للموعد الثابت .. ثعبان يتلوى بحجم ، ومساحة امتداد البصر .. يتلوى تارة ذات اليمين ، وتارة ذات الشمال ، وقلما استقام .. تظل السيارة تعلو وتهبط

عساها أن تلتقي بظل شجرة هنا ، أوهناك .. لكن هيهات !

الحركة الوحيدة التي يمكن للعين المتتبعة أن ترصدها، مع حركة السيارة هي حركة الأمواج الرملية التي تأسر البصر ، ثم تتلاشى .. كل شيء ساكن عدا ظلّ السيارة

المتشبّث بها .. يلاحقها ...مساحات شاسعة من الرمال الصفراء .. المترامية على جانبي الطريق ، وبعد صراع الأتوبيس مع الإسفلت قرابة الخمس ساعات .. توقّف في الجانب الأيمن للطريق ..

قال " الأسطى هواري " ، وهو يشير بيده إلى سور يطل على استحياء في الشارع الجانبي :

حمد الله على السلامة .

ـــ الإخوة بتوع الثانوية العامة .. امشوا مع هذا السور في نهايته باب «الاستراحة»

★★★

بدت لفحة الجو كأنها خماسين .. حلّتْ – للتو – لتنتقم من آثار" التكييف " الذي نعمنا به طوال الطريق ...

هواء ساخن مصحوب بذرات الرمال يلفح أوجهنا .. حمل كل منا حقيبته ، أو جرها ..صعدنا إلى الشارع الجانبي.. ارتفاع الأرض تحت أقدامنا جعل البداية غير مبشّرة ..

لكن علمنا بقرب موقع الاستراحة هوّن من تلك المسألة ....

آذان العصر ينبعث .. يتهادى ضعيفاً .. ممطوطاً، يبدو أنه لم يسلم من شدة الحر مثله مثل القادمين .. صوت لا يتناسب مع طبيعة الصحراء وأهلها ..كان الصوت رخيماً .. يشق السكون المضروب على المنطقة .. صوت يحمل من الحنّيةما يجافى طبيعة المكان .. صوت جعلني أتخيله الشيء الوحيد – هنا – الذي يحمل الحنية !

★★★

أعلى البناية الكبيرة التي بدت تتسيد المنطقة .. أرسلت بصري مخترقاً حدود الخضرة ، ومنطلقاً إلى الصحراء ...

قوس كبير في البعد أطلّ بوجهه .. وجه أسود فاحم في عمومه ، ومائل إلى الصفرة في أجزاء صغيرة منه .. يحيط مطوّقاً المنطقة الخضراء .. تعلوه قمّة تبدو من بعيد كرأس أفعى تتأهب للانقضاض على فريستها ، أو كلسان يخرج في وجه من أراد التأمل وطاوعته نفسه على ذلك.

★★★

أتاح لي عملي كرئيس دور باللجنة أن أشاهد من مكان ــ أحسبه الأعلى ــ تفاصيل المكان ... وقفت في الشرفة ومن خلفي الفصول .. أتأمّل كمَن يطلّ من نافذة طائرة ؛ ليراقب الأشياء ، والحركة أسفل منه ....دائرة خضراء بمساحة

امتداد البصر، هكذا تبدو المنطقة من أعلى .. نسيم الصّباح يهبّ .. أملأ صدري ، وأواصل التجوّل ببصري .. حدثتني نفسي أن أنزل ، وأتجوّل داخل تلك الدائرة الخضراء ، وأسعى للوصول إلى أطرافها ؛ غير أني أتذكر أني جئتُ من أجل مهمّة معينة ؛ فأتحسر ... المهمة ليست بالهيّنة .. في الصباح لجان وامتحانات .. الأكل بمواعيد ثابتة ..

إذا جاءت التاسعة صباحاً اشتعلت الحرارة لدرجة يصعب معها التجوّل في الشوارع المكشوفة بطبيعتها .. عاد بصري ينتقل بين سلاسل الجبال المحيطة كالسياج يحمي الواحات ..

نعم إنّها دائرة خضراء وسط الصحراء .. دائرة لا تضيق، ولا تتسع .. يحكمها القوس الأسود الكبير .. في ناحية معينة من القوس شدتني قمة كبيرة تطلّ منفردة من بين السلاسل .. تتشح بالسواد ، وأنا أتأملها تذكرتُ على الفور قوله تعالى :

(وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) - ٢٧(فاطر)

يا له من مشهد لم تبصره عيناي من قبل ! !

نبّهني زميلي "المعاون" أنه فرغ من إحصاء الأوراق ، وأن الطّلاب يتأهبون لدخول اللجنة ....

قلتُ وكأني أكلّم نفسي :

– استعنّا على الشقا بالله .

★★★

بهرنى منظرأشجار «المانجو»، و"الموز"، و «اليوسفى»، وغيرها وهى تطلّ من بين النخيل . تصطفّ على جوانب الشوارع المتعرّجة .. تلقى بظلالها ، بجانب ثمارها أمضى يتملّكنى الإحساس أنه لا بد من إدراك السرّ الأعظم وراء طرح الأشجار ثمارها ، دون أن تمتد إليها يد عابثة ، أو يمسّها سوء .. حقا إنه السرّ الأعظم ! سرّ (لا إيمان لمن لا أمانة له)

قال «عم محمد» وهو يمسح برأسه .. متمّما الوضوء :

امشوا هنا فى الأرض على حسابكم .

ولما استشعر تردّدنا ، وتخوّفنا .. استطرد :

– المُلك مُلك الله .. يعنى خدوا راحتكم .

وواصل بصوت خفيض :

– هنا كل حَيّ عارف نخلاته ، وزرعياته .. محدّش بيمدّ إيده

على زرع غيره .

كنتُ ثالث ثلاثة .. توغلنا فى الأرض التى بدت كأنها غابة .. يقطع سكونها صوت العصافير ، والطيور التى لا نكاد نراها مصحوبا بصوت بقرة هنا ، أو هناك .. يأتى من بعيد كنداء استغاثة ؛ غير أن صوت "عم محمد "ظل يلاحقنا :

– امشوا بجوار المسقى الأسمنتى ؛ عشان تعرفوا ترجعوا .

كان الليل قد أزف ، وأخذ الظلام يحلّ دفعة واحدة .. وراحت تختفى تحته الأشجار، والمعالم .. قال «الإكسلنس «مندهشا ومشيرا إلى إحدى تجمّعات النخيل :

– يا ه .... ياالله ! !

– شوفوا... شوفوا النخل مرصوص هنا ازاى ؟

واتخذ خطوتين ناحية اليمين ، وهو يهيّء «الكاميرا»، ويأخذ اللقطات .

– بصّوا .. من هنا .. النخلة الأخيرة .. تبدو مكمّلة حرف الهاء ..

يا سبحان الله ! !

قال «بُطرُس» والدهشة تملأ ملامح وجهه :

– فعلا ..... سبحان الله !

ثم راح يشير إشارة معهودة .. حركة يده من أعلى إلى أسفل، ومن اليسار إلى اليمين ، وأخذ يترنّم بكلمات ، وكأنه يقولها فى سرّه ، وفى لحظة وجدنا أنفسنا كأننا فى غابة .. لم ترها العين إلا فى الأفلام الأجنبية ، وخاصة أفلام الرعب ؛ فقد حلّ الظلام ، وتلاشت معالم الأشياء .

بدأنا ننسحب .. نتحسس الطريق .. يرسل القمر أضواءه الخافتة .. ينتشلنا من براثن الظلام المباغت، وفى نهاية الشارع الممهّد حديثا ، والمتعرّج .. كانت المصابيح الكهربائية الكبيرة تفتح عيونها .. تحيط بها هالات من ذرّات التراب، وتتراقص حولها مجموعات من الهاموش ، والفراشات الصغيرة ...

قال بطرس وهو يبتسم :

– ممكن صابر أبوالسعود يكون أخد (العشا) بتاعنا ، ومش بعيد يكون أكله .

ضحك الإكسلنس ، وصاح :

– ياآخى افتكر لنا حاجة كويّسه !

صابر أبوالسعود لن يكف عن مناكفتنا ، وتأنيبنا وربما يصل الأمر به إلى توبيخنا ؛ فقد نقضنا عهدنا معه، فبعد أن كان الاتفاق على الصحبة .. تحيّن الإكسلنس الفرصة، واستغل أنه دخل الحمّام ، وتاكّد من انبعاث

صوتــه الجهــورى .. يخــرج متناغمــا مــع وشــيش المــاء....

– محدش هنا بيمد إيده على حاجة حد !

ظلّـت عبـارة عـم محمـد هـذه تـتردد .. تطـنّ فـى أذنـى ، ونحـن نسـير إلى الاسـتراحة فـى الشـارع الرئيسـى .. المحـالّ مفتوحـة ، والبضائـع مطروحـة أمامهـا ، ولا مـن رقيـب غـير مَن اسـتجاب لـه أهـل البلـدة ، وهُرعـوا مـن أجلـه إلى المسـاجد ..

بـدت الشـوارع خاويـة ، وصـلاة العشـاء تنبعـث عـبر مكـبّرات الصـوت .. يجـوب صداهـا جنبـات الواحـة ، ولا حركـة فـى الشـوارع سـوى بعـض الموتوسـيكلات التـى تنجـذب إلى أبـواب المساجد ، وتصطفّ خارجهـا هاجعـة فى خشـوع ...

حكـى لى أحـد الزمـلاء أنـه عندمـا جـاء لنفـس المهمـة فـى العـام الماضـى فقـد خمسـين جنيها بالقـرب من باب الاسـتراحة، وبعـد ثلاثـة أيـام جاءتـه تبحـث عنـه ، عندمـا جـاء أحدهـم إلى الاسـتراحة، وظل يسـأل ، ويسـتقصى عمّن فقد مبلغا من المال ...

مـن يومهـا اتخـذ زميلـى قـرارا بـأن يحـدّث بهـذه الواقعـة فـى كل مناسـبة تذكـر فيهـا الأمانـة ، وكان يسـتهلّ حديثـه قائـلا : «وأمّـا بنعمـة ربـك فحـدّث»

-٣-

محمّلا بهموم الدنيا .. بدا من خلال مشيته وهو يحمل «السرفيس» فارغاً.. يتجه به إلى المطبخ .. ملابسه غير المتّسقه ذكرتنى بأيام العزوبية التى غرقت فى بحرها ، ولم ينتشلنى منها سوى الصُدفة !

"بيجامة" مخططة .. "موديل» السبعينات احتوت الجسد الفارع ..شارب ارتخى فوق شفتين غليظتين ، وعينان حمراوان تُطِلّان كفوّهتي بركان .. اشتعلاتا لتوّهما ، وشعر أشهب .. مهوش ...وقف على الشّباك الذى تخرج منه «السرافيس» مملوءة ، وتعود إليه فارغة ...رمقته «أم محمود» بنظره فاترة .. العرق يتصبب على وجنتيها البضتين ، وقد عصبت رأسها ووسطها، وبيدها «كبشه» تمتلئ «بالصلصة» ...

قالت بصوت يغالبه الاستحياء:

– حضرتك لسه يادوب واخد الأكل منى !

ردّ فى حدّة :

– باللّه عليك عايز «ورك» كبير .. الصدر اللى أخدته .. يادوب سلّك سنانى..ثم استطرد بابتسامه فاترة :

– هو الأكل مش بيزيد وبيترمى ؟

قالت «أم محمود»، ويدها تردّ «السرفيس» مملوءا :

– الأكل معدود علينا بعدد الأفراد يا أستاذ !

استمرت التعليقات تنبعث من آخر الطابور الذى تشكّل على هيئة ثعبان .. رأسه على شبّاك المطبخ ، ومؤخرته تمتد إلى باب الحمامات قرابة العشرة أمتار ...

قال أحدهم ساخرا :

– شوفى له «ورك نعامة» يا أم محمود ! !

انبعثت الضحكات تصطدم بنظراته الناريّة .. بهدوء وضع عوداً من النعناع

الأخضر فى «بطرمان زجاجى» ، ووضع فيه قرابة خمس ملاعق سكر، و «فتلة شاى» وحيدة .. حاول أن يصدّ نظراتهم .. انبعث صوته ؛ ليقطع الطريق على أسئلتهم وسخريتهم :

– أنا بشرب الشاى خفيف .. صحيح بطرمان كبير لكنه فتلة وحدة تكفينى ، واستطرد ساخرا :

– مش الواحد ماسك «مج» فى حجم «القروانة» ، ومش مكفّيه فتلتين ؟ ...

لا.. دا حاطط تلاتة .. قالها « الأستاذ طايع « ثم خرج من الطابور ، وظل يطرق باب المطبخ الموصَد ..ثم تأمل اللافتة الورقية .. المعلقة على الباب ، وقد كُتِب عليها بخط عريض (ممنوع الدخول لغير العاملين) .....

دفع الباب ، ودخل .. لفحت وجهه سحب البخار مصحوبةً بحرارة الطبيخ ...السرافيس الفارغة مكّومة على رخامة كبيرة ، وبها بقايا الطعام .. أخذ يقلّب فيها عن بقايا " ورك " ، أو صدر .. هو يعلم جيداً أنّ بعضا من زملائه لا يأكل

الفراخ .. قبض على شىء ، ثم تجوّل ببصره لحظات .. قطع من خلالها

حركة العمّال المنهمكين .. عاد نحو الباب وكأنه فقد شيئا ما

★★★

سألته ذات مرة وهو يجلس – كعادته – منفردا فى فناء الاستراحة ..ينأى بالكرسى تحت شجرة «الجازورين» الوحيدة ..يستظل بظلها المحاصر بالشمس من كل النواحى :

– عندك أولاد ؟!

فـى البدايـة لم يعرنـى أى اهتمـام .. ظـل سـارحا .. دفعنـى فضـولى للاسـتطراد

– ماكنتش قادر تعتذر ؟!

أخـرج مـن فمـه ورقـة صغـيرة كان يلوكهـا، كوّرهـا فـى هيئـة اللبانـة ثـم قبـض عليهـا بأطـراف أصابعـه .. ألقاهـا بلامبـالاة قائـلا بصـوت واه :

– ماشفتهمش من تلات سنين !!

ثم زفر زفرة طويلة :

– مع أمهم المعلّقة .

وفى ثنايا اعتذارى له .. سبقنى ليقول :

– ولا يهمـك يـا غـالى .. أنـا مصدقـت ألاقى حد أتكلـم معاه.. أهـو بـدال مـا أنـا قاعـد لوحـدى ، وصفـع خـده صفعـة قبض من خلالهـا علـى ذبابـة .. وضعهـا بـين أنملتـين غليظتـين، وظـل يتأمـل .. قـال وهـو يضحك ضحـكات متواصلة – أمـوت واعرف بتقرصى ازاى ؟!

عملت لك أيه عشان تقرصينى بالشكل دا ؟

ولمـا رأى تعبـيرات وجهـى تغـيرت .. ألقاهـا فـى غـير اكـتراث ، وعـاد يبتسـم

– كلـه والـلا «النامـوس».. تخيّـل يـا أسـتاذ قلـت آجـى «الواحـات» عشـان اسـتغلّ الشـهر دا ، وقلـت فـى عقـل بـالى يمكـن أنـام .. نفسـى ..... كانـت عباراتـى تـتردد داخلـى

– ومين سمعك ؟

خشـيتّ أن تخـرج مـن بـين شـفتى .. أثنيـتُ علـى صراحتـه .. تركتـه يهيـم فـى دنيـاه الغائبـة .. مُصـبرّا إيـاه بكلمـات – ربمـا – لم تتجـاوز أذنيـه .

★★★

لم يكـن بوسـعى أن أمضـى مـن أمـام طايـع دون أن تطاردنـى صورتـه ، وهيئتـه

حسـبت – فـى بـادىء الأمـر – أننـى وحـدى الـذى جئـت مخلفـا ورائـى أعبـاء أسـرة ظلمتهـا الظـروف ...

صغـارى يمارسـون حياتهـم بصـورة شـبه طبيعيـة .. فقـط يبـدو السـخط فـى صـوت زوجتـى عـبر التليفـون ؛ فكـم تشـتكى مـن خناقـات الأولاد ، وعـدم سمـاع الـكلام ...

فى آخر مكالمة قالت :

– العيـال زهّقونـى .. مـش قـادرة عليهـم .. مغلّبينـى فـى النـوم .. وقاطعـتْ ردى

– تعالى شوف لك حل معاهم .....

ظللتُ اضحك شامتا ، وأتخيّل دموعها المدرارة ، فأدير دفّة الحديث ثلاثمائة وستين درجة ، وأعود أكرر قبل أن أنهى المكالمة :

– هاتى لهم اللى عاوزينه .

فتردّ فى نبرة حاسمة :

– أهو دا – بقى – اللى خاربهم ، ومخليهم متفرعنين !

حاولت أن أواسيها ، وأهدّىء من روعها .. مذكرا إياها بأنه فات الكثير ومابقى إلا القليل ؛ فيأتينى صوتها :

– أنت بتتريق .. آه .. ما أنت عندك حق .. أنت عليك إيه .. ما أنت مقضّيها ..

عايش .. ولا على بالك !

ابتسمت متناسيا استقبال جيوش « الناموس « لى بعد لحظات ، ومطاردته لنا جميعا بصحبة الصهد الذى لا تهدأ وطأته إلا فى الساعات الأخيرة من الليل ..

وفى فناء الاستراحة كان الإكسلنس قد هيّأ صوت أم كلثوم عبر موبايله .. كان الصوت ينبعث محلقا فى المدى (بعيد عنك حياتى عذاب) ؛ فيرد رفعت البلوصى بصوته الخشن الممطوط

– (متبعدنيش بعيد عنك)....

وفجاة يجأر طايع ، بعد أن قفز كثور هائج :

– تعبان ..... تعبان ....

وأخذ يكررها ؛ حتى تجمع حوله معظم من هم فى الاستراحة..اعتدل الشيخ عبدالفضيل من رقدته .. راح يداعب الثعبان الصغير قائلا :

– مدد يا رفاعى ..... مدد ، ثم مد عصا صغيرة وراح يستقبله عليها .. وبدا الشيخ كالحاوى .. يلتف حوله المعجبون ، وما هى إلا لحظات حتى راحت الموبايلات تنقل ذلك الحدث من الواحات إلى القاهرة وضواحيها .

على الهواء مباشرة .

- ٤ -

فـى غمـار الأمنيـات كان منتهـى أمانينـا – نحـن سـاكنى استراحة المعلمـين أن نجـد مـاء للاستحمام ، أو الغسيل فضـلا عـن مـاء الشـرب .. مـاء الشـرب يسـهل التغلـب عليـه .. الزجاجـات المعدنيـة تمـلأ المحـالّ هنـا .. هـى بالفعـل مكلّفـة ، وليسـت فـى مقـدور الغالبيـة ممـن جـاءوا مرغمـين ، ولم يأتـوا مـن أجـل فُسـحة أو ترفيـه ، أو علـى الأقـل باختيارهـم ....

مـن اليـوم الأول لنزولنـا الاسـتراحة ، والبعـض يمسـك بطنـه .. يسـارع إلى الحمّـام .. يقضـى معظـم وقتـه ...كان المـاء المسـتخدم عبـارة عـن خزّانـات تعبّـأ حسـب الطلـب ، وفـى أوقـات محـددة .. لم نكـن – فـى بـادىء الأمـر – نعلـم أنـه عنـد نفـاد الكميـة سـنظل قيـد الانتظـار ، إلى أن تأتينـا الكميـة المقـررة .... تصفـع الشـمس وجـه الخـزّان أعلـى بنايـة الحمّامـات .. مـن السادسـة إلى السادسـة .. ينـزل المـاء – إن وجـد – سـاخنا نهـارا ، وفاتـرا فـى فـترات الصّبـاح والليـل ... تحـت « الـدش »أستشـعر رائحـة غريبـة تنبعـث .. فـى أقـل وصـف لهـا إنهـا رائحـة زفـرة ، ومـع ذلـك كان البعـض يتخـذ

من الحموم وسيلة لتهدئة جسمه المنهوك ؛ كى يتحصّل على ساعة أو ساعتين للنوم .. غير أن المسالة لم تَطُل ؛ فعندما عبّأتُ الماء فى زجاجات ، وقمتُ بادخارها أسفل سريرى .. لوقت الحاجة .. كان لون الماء أصفر .. لا أبالغ إن قلتُ إنه يماثل – تماما – لون بول الحمير .. تركت الماء فى الزجاجات أسفل السرير ..كان لونه قد تغيّر .. ظل الجزء العلوى أصفر، والجزء السفلى من الزجاجة صار مائلا للاحمرار.. ساعتها أيقنت أن الحديد الذى تشتهر به «الواحات البحرية « لم يكن فى الصحراء فحسب بل تسلل إلى الماء !

ماذا لو غسلت غياراتى البيضاء ؟

بالفعل كانت الحاجة إلى الغسيل ملحّة ؛ فالعرق الذى ينضح من جسدى أثناء النوم كفيل بأن أتخلص من الغيار فضلا عن غسله .. استخدمت مسحوقا جديدا على سبيل التجربة كى أحافظ على نصاعة « الفانلات « .. خلطت « برسيل»

مع " إيريال « مع « تايد «، وأشعت فى الاستراحة أن هذا المسحوق الجديد له فعل السحر .. يحافظ على نصاعة الملابس البيضاء ، ويكسبها رائحة جميلة قد تغطى على رائحة العرق الذى لا ينقطع .

★★★

دخل «طايع» الحمّام وبعد فترة من التنحنح والمكابدة جاء صوته مستغيثا .. مصحوبا بالسباب واللعنات على اليوم الذى جئنا فيه ، وعلى الوزارة التى تلقى أبناءها فى الصحراء على الفاضى !

هرولتُ ناحية الحمّامات ، وإذا به يصيح :

– إزازة ميّة لله .

وعندما سمع وطء أقدامى هدأت نفسه .. جاء الصوت فى صورة رجاء .. لكن لم يسلم أهل الواحات ولا الواحة نفسها من اللعنات والسباب .. قلت له وأنا أحثّه على المحافظة على الزجاجة الفارغة

– ما ذنب الواحات وأهلها ؟!

ردّ والغيظ يكاد يأكله بعد أن قطع التوجّع :

– يا سيدى الحسنة بتخصّ والسيئة بتعم ! !

وعندما فرغ من الحمّام أبقى على شىء من الماء .. كان الشيخ عبد الفضيل قد لحقنى ، وكوب الشاى فى يده .. قال الشيخ عبدالفضيل :

– الكلمة الطيبة صدقة !

صاح طايع فى وجهه المبتلّ :

– بلا صدقة .. بلا زفت ، واستطرد :

– إحنا ذنبنا أيه .. الواحد مش لاقى شوية ميه .. يطسّ بيهم وشّه على الصبح ؟!

لم يكن فى وسعى سوى أن أقول :

– ربنا يكون فى عون الناس اللى عايشين هنا ، ثم وأنا أنسحب مبتعدا لاحقنى صوت الشيخ عبد الفضيل :

– دى ناس لها الجنة ! !

صاح طايع مرة أخرى :

– ابقى قابلنى .. دا من أعمالهم سلّط عليهم .. ابتسمت بعد ان بلعت ريقى :

– الناس هنا أطيب ما يكون .. لم أعهد الفطرة فى ناس كما عهدتها فى ناس البلد دى ! !

★★★

قبيل الظهيرة كانت "سيارة مطافىء" .. تطرق باب الاستراحة ، ثم تتجه إلى الخزّان .. يبدو أن صدى شكوانا المتكررة قد سَمّع .. ووجد أذنا واعية ... قوة اندفاع الماء عبر الخرطوم .. جعل الفرصة متاحة لخلخلة الصدأ، واقتحام الطبقة البنية .. صار الماء ينزل فى الحمّامات أحمر كلون الشاى الخفيف ..لكنه يظل ماء !

هنـا اطمـأن « المدرسـون "، وهـدأت نفوسـهم قليـلا .. لم يعـودوا فـى حاجـة إلى زجاجـة ، أو زجاجتـين ، فهـا هـو مـاء سـيارة المطافـىء يفيـض ، ويتجـه إلى بعـض الزراعـات والأشـجار التـى يبسـت أوراقهـا.

– يا ترى حال أهل البلدة أنفسهم ايه ؟

قالهـا الشـيخ عبدالفضيـل وهـو يقضـم « خيـارة «، دون أن يغسـلها .

قال طايع وهو ينظر إليه ساخرا

– مش كنت تغسلها الأول ؟!

قهقه عبد الفضيل ، وصوته يتحشرج

– الميّه اللى بنغسل بيها محتاجة تتغسل !

واسـتمر يقضـم بطريقـة ملفتـة وصـوت المضـغ ينبعـث كاجترار جمـل أنـاخ ، واسـتراح .. ثـم قـال بعـد أن لملـم صوتـه :

– اغسل مين يا عم .. والله انت طيب

ثم انغمس فى الضحك .. ظل السؤال يطن فى أذنى

– تُرى ما حال أهل البلد مع الماء ؟!

خـرج «أمجـد العشـماوى «مـن الغرفـة المجـاورة لغرفـة المطعـم .. يتدحـرج .. يتحسـس كرشـه المسـتدير ، ويصيـح :

– يعنى الواحد يفضل كدا حابس نفسه لغاية ما ينزل من اللجنة ؟!

ثم فى نبرة أشد ارتفاعا

– دا ايه الاصطباحة الزفت دى ؟!

وأخذ الزجاجة الفارغة من يد طايع .. ملأها من « الكولدير «المتصل ببرميل صغير على هيئة خزان ... يقول موظفو الاستراحة :

– هذا الخزان يملؤه العمال بعناية .. يقوم أحد العمال بتفريغ جراكن صغيرة فيه إلى أن يمتلىء .. يفعل ذلك يوما بعد يوم ...

ماء « الكولدير «.. يقولون إنه يأتى من محطة تحلية معتبرة ؛ حيث يمر الماء بسبع مراحل للفلترة ...تُرى ما حال البرميل من الداخل ؟

وهل به طبقة بنيّة ؟ .... هل يهتم العمال بتنظيفه ؟

أسئلة تدور بذهنى .. لم أجد لها إجابات ؛ فلم أر من العمّال مَن يقوم بهذه المهمة منذ مجيئنا .. ظلت هذه التساؤلات تراودنى كلما هممت بملء زجاجة ،أو كوب للشرب ....

كنت أتعمد أن آخذ الماء فى كوب زجاجى شفّاف ، وأنتظر إلى أن تهدأ حركة الأجسام الدقيقة ، ثم أفرغه

فى حلقى دفعة واحدة وأنا مغمض العينين .. هكذا كنت أشرب الماء من «الكولدير» كما أنى لو كنت أشرب الدواء !

صمم «رفعت البلّوصى» أن يقتحم المخاطر ، ويخوض فى المحظور .. قرر أن يفتح البرميل المتصل بالكولدير ، وبالفعل تعمّد أن يفعل ذلك ، وصمم أن أكون موجودا فى وجود العمال والموظفين ، وبعض» الملاحظين ".... أحضر رفعت البلوصى قطعة كبيرة من الأسفنج.. لم أكن – فى بادىء الأمر – أتخيل أنه اقتطعها من مرتبة سريره .. غسلها جيدا ، وهيأها ، وانتظر إلى أن تفرغ أكبر كمية من ماء البرميل ، وهنا كانت المفاجأة ... " برص " يطفو على سطح الماء .. صحيح برص صغير لكنه يتحرك .. يقاوم الغرق .. بدا مقلوبا على ظهره وكأنه ضفدع .. تجمدت فى مكانى .. لم أشا أن أنطق بكلمة .. اغترف «رفعت البلّوصى» البرص ، وأخذ يصيح فى جنبات الاستراحة التى بدت خاوية ككهف مظلم ....الوقت قبيل المغرب .. غالبية المدرسين منهمكون فى مشاهدة مبارايات كأس العالم وآخرون يضعون الموبايلات على أذانهم .. يتجوّلون فى ساحة الاستراحة المتصلة بالمدرسة .. لم يقبل إلا الشيخ عبدالفضيل وفى يده كوب الشاى .. ابتسم فى برود قائلا :

– عادى .. ما انا لسه عامل الشاى من الميه دى ! !

ثم وضع كوب الشاى على فمه ... قرر « البلوصى « أن يمسح جدار البرميل بالأسفنجة وهنا تبيّن ان الطبقة التى تلتصق ليست بالبنية ولا بالحمراء كطبقة خزان الحمام.. جاءت الأسفنجة محمّلة بطبقة لونها اخضر مائل إلى السواد، فلا هى رملية ولا هى طينية ... وقف " البلوصى " على شباك حجرة المطعم ؛ حيث التلفزيون ، وعشّاق كرة القدم .. لم يجد وسيلة يجذب بها انتباههم سوى أنه مدّ يده ، ونزع « الفيشة « ، وانتظر .. يتلقّى الضربة الأولى، وبالفعل كاد البعض يفترسه لولا حكمة الآخرين ... غاصت الاستراحة فى الهرج والمرج .. وعندما هدأت حدّة الانفعال قال البلّوصى وهو يشيح بالأسفنجة فى وجوههم :

– بتشربوا ميّه بتعوم فيها الأبراص والصراصير .. شوفوا الميه بتاعة الكولدير شكلها ايه ؟

خرج معظم المنفعلين يمسكون بطونهم .. يتسابقون إلى الحمّامات ثم انبعثت أصوات « الاستفراغ «، و» التنخيم «، و «النحنحة».

★★★

– أنا هبعت شكوى للوزير , مين هيوقّع عليها معاى ؟

قالها أمجد العشماوى ، والدم يكاد يتفجر من أوداجه المنتفخة .. رد عليه الإكسلنس :

– والله أنت بتحلم .. يا بيه إحنا هنا في صحرا ، ولا الوزير ولا غيره هيسأل فينا .. خلي شكوتك في جيبك أحسن .

– أنت أصلاً مش فارقة معاك .. انا هشتكي يعني هشتكي .. بس عاوز رجّالة معاي!

قال الشيخ عبد الفضيل :

– الطيب أحسن .. إحنا ممكن نحلّها ودّي .. نخلّي العمّال ينضّفوا البرميل أول بأول .. كل يوم ، دا الحل العملي ، ويا دار ما دخلك شر ... بقي رفعت البلوصي يجلس القرفصاء ماسكاً بطنه .. زامّاً شفتيه ... صاح الاكسلنس عندما شاهد الريّس عزمي قادماً :

– إحنا عاوزين مكان العشا مية معدنية .

انتفض البلّوصي ، وهبّ واقفاً :

– والله فكرة .. بجد بلا عشا ، بلا غيره ، بلا وجع قلب .. المية أهم !

قال الريّس عزمي :

– معنديش بند يسمح .. البلد بلد ورق .. اكتبوا طلب للوزارة بتعديل الوجبات واستبدال العشا بالمية المعدنية، وأنا تحت أمركم .. أطلق الشيخ عبد الفضيل ضحكته المطوطة :

– والوزارة دي فين ؟؟!

– الـوزارة دي في كوكـب تانـي .. الكوكـب اللـي كان عايـز يعيـش فيـه

"مدحـت صـالح".. قالهـا الاكسـلنس وفتـح المجال للسـخرية والاسـتهزاء .. عقّـب أمجد العشـماوي :

– يبقى خلاص موت يا حمار !!

-٥-

يجلس – كعادته – .. يعتلى سور» الفارنده" المواجه للحجرات الملتصقة .. كانت جلسته المفضلة رغم ضخامة جسمه وكرشه المترهّل .. يهيم فى الأفق البعيد .. يدندن بأغنيات " ثومة " ، «وفريد "، و" عبدالوهّاب ".. سألته فى غير مرة :

– يبدو أنك ميّال للعزلة ؟

ابتسم كاشفا عن سن وحيدة تدلّت فى فكّه العلوى ثم قال :

– التامل حياة .. أحب اسرح فى ملكوت الله .. اروح إمبابة ، وشبرا ، والكيت كات وأرجع كل شوية .... إمبابة عشقى .. ولما قرأ فى وجهى علامات الدهشة.. استأنف

– متتعجبش .. زحمة إمبابة قرّة عينى .. البلكونة هناك.. أقصد بلكونتى فى الدورالسابع .. بتمكنى من رؤية الصراصير ، ثم قطع ضحكته المفاجئة بتنهيدة :

– قصدى» التكاتك « !

واستطرد :

– تقاطع شارع الأقصر مع شارع البصراوى حكاية يا أستاذ ..المفارق دنيا تانية .. الناس بتجرى فى كل الاتجاهات .. بالفعل اسم على مسمّى .. اسمها المفارق .. لكن الشهادة لله دنيا تانية ، وحياة !

منطقة فيها روح الحياة على أصلها كل واحد خارج وعارف طريقه ثم أخذ نفسا طويلا ، وتاوّه :

– إمبابة يا أستاذ هى الحياة .. فعلا دنيا تانية زى ما بقول لك كدا !

" شكرى" لم يكن يرسم " الصليب " على يده كما يفعل المسيحيون ، ولا يعلقه فى رقبته كما تفعل الغالبية منهم .. يكتفى فى حديثه بعبارة (الدين لله والوطن للجميع) .... عندما عرف أنى اكتب الشعر قال :

– أنا حبيت الشعر عشان « البابا شنوده " ... "البابا شنوده " كان شاعر عندى له قصايد كتير .. قريتها كلها، واعتدل فى جلسته ثم تساءل :

– قريت له حاجة انت يا أستاذ ؟!

بدا لسانى ثقيلا .. أصابنى الحرج .. أردت أن أسحب الحديث بعيدا .. سالته :

– لماذا لا يظهر الصليب على يدك ؟

أجاب بعفوية ، وبطريقة كشفت عن روحه المرحة :

– مش كفاية « بطرس « !

ظل يضحك .. أشفقت عليه ؛ فقد كان العرق يتصبّب .. يسيل مع ضحكته المتقطعة ، وكان « بطرس» وقتئذ بالداخل يترنّم مع نفسه ... شكرى الثانى عشر .. هكذا كان يحب أن أناديه ؛ فيردّ :

– أيها الأديب الألمعى !

قال فى صوت هامس :

– شوف لنا الشيخ عبدالفضيل يعمل معانا واجب ..اندهشت كثيرا .. بدأت فى تلك اللحظة أحلل مغزى ما يريد .. أخذتنى كلمة " واجب " فى اللا زمان واللا مكان .. سرحتُ ...

– تُرى أى واجب يقصد ؟!

وهل الشيخ عبدالفضيل سهل المنال ؟

كيف يلبّى طلب إنسان غريب عنه ؟

وهل فى إمكانه عمل الواجب المَعنىّ ؟

تساؤلات اشتعلت فى ذهنى .. جعلتنى أغيب وأنا القابع أمام " شكرى " وفى حضرة جلسته على السّور .. نبّهنى بضحكة عالية .

– باين كدا عند الجد مش هنلاقى حد !

واستطرد :

– حاجة بسيطة يا أستاذ .. شريطين ، أو حتى دهان .. عرفت إن الشيخ عبدالفضيل بيشتغل فى صيدلية بعد الضهر، وعرفت إنه له فى الحاجات دى .. تخيل أنا كنت حاطط أمل كبير على الحبة الزرقا .. بس اللى فى السوق دالوقت كله بقى مضروب ، وخرجت ضحكته مصحوبة بالتأوه :

– الواحد بقاله شهرين تلاتة خارج نطاق الخدمة .. الأمل فى الشيخ عبدالفضيل ، وهمّتك انت معانا ... لم أكن أتخيّل، ولا كان فى بالى أن أكون وسيطا فى مثل هذه الأمور ، وأنا الذى أستحى أن أكشف عن فخذى لآخذ « إبرة «.. أقف متواريا .. غائبا أمام الصيدلىّ ، وهو يبحث عن مكان فى فخذى يضع فيه» سن الإبرة «.. تمرّ اللحظة علىّ كأنها سنة .. فكيف لى أن أتوسّط فى مثل هذا الأمر ؟!

" دهان " كان وقع هذه الكلمة فى ذهنى جديدا .. وكأنى أسمعها للمرة الأولى فى حياتى .. يبدو أن مشكلة « شكرى « مشكلة مجتمع بأسره ..... جاءت كلمة دهان كالمسكّن لآلام

مزمنة .. رحتُ أقدح الذاكرة .. أبحث عن فتوى أتذكّرها .. لم أعثر فى ذاكرتى على فتوى .. تبيح استخدام هذه المنشّطات ، أو تحرّمها .. ولم يتنام إلى علمى مدى حلّها ، أو تحريمها ، لا من قريب ، ولا من بعيد، وبالفعل وجدت نفسى مع « شكرى » فى بوتقة واحدة ...

– تُرى كم واحداً – هنا فى الاستراحة – فى حاجة لاستخدام تلك المنشطات ؟

وكم واحداً مثل الشيخ عبدالفضيل .. يسهّل وصولها للراغبين ؟

وكم واحداً لا تلزمه ؛ فلا تقدّم ولا تؤخّر معه ؟!

أكاد أجزم أن الجميع فى أمسّ الحاجة !!

– ياه يا عبدالفضيل !

بدأت أحسدك للمرة الثانية ... من قبل ظننت أنك لا تحمل همّا .. ولا تعطى فرصة لأعباء الحياة والظروف أن تتمكن منك ؛ لذا ابتسامتك تلازمك ، ولا تفارقك فى الذهاب، أو فى الإياب .. لسان حالك يقول : إنك مبرّأ من الهموم ...

– تُرى أنت مثلنا تحتاج إلى المنشطات ؟

أم لديك اكتفاء ذاتى ؟، وكما يقولون : طبّاخ السم بيدوقه ...مضيت أراقب الشيخ عبدالفضيل من حين لآخر كلما

شاهدته يقف مع أحد ، ويتهامسان أيقنت أنه قد ربح البيع ، وأن صفقة ما .. قد تمّت ولو على نطاق ضيّق !

فور أن يضع عبدالفضيل رأسه على « المخدة « يروح فى النوم ، ويترك ما ينوب عنه ... شخير متواصل .. لا ينقطع إلا عندما ينقلب على جانبه الآخر ... هو قليل النوم لكن كما يقولون إذا نام ؛ فهو جبّار بشخيره ، شخير يوقظ النائمين فى الحجرات المجاورة ... وصف أحدهم – ذات مرة – شخيره بأنه يشبه صوت ذكر الحمام .. عندما يحوم حول أنثاه، أو على الأقل مثل ذكر البطّ .. عندما يلاطف بطّته !

وعلى الرغم من أنه شخير إلا إنه كان مقبولا .. ينبعث مثل لحن يعزف على أكثر من وتيرة .... أمس ضحك عبدالفضيل من قلبه ، عندما سمع صوتا يشبه الشخير .. جاء مصحوبا برائحة .. قال وهو يمطّ ضحكته :

– وبتسخروا منى ؟

وأكمل مزاحه :

– دا انا غلبان ! !

ثم برر مسألة شخيره بأن السرير الذى ينام عليه صغير، وأن ساقيه تتدليان منه ، فضلا عن أن «المخدة «ناشفة ، وعالية ، وصغيرة .. لا تتيح للرأس أن تنغمس فيها، وانبعث الصوت النشاز مرة أخرى .. لكن هذه المرّة كان مجهول

المصدر ؛ فالأسِرّة متلاصقة ،وأغلب ساكنى الحجرة نائمون.. ضحك الشيخ عبدالفضيل ولسان حاله يردد :

– (إن تسخروا منّا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) ثم وعدنى أنه سوف يلبّى طلبى فى أقرب فرصة ، وعندما شاهد انفراجة وجهى طمأننى بأن لديه المزيد .. وطلب أن أترك له التليفون ، واختتم كلامه معى بأن الحاجات دى مكسبها تسعين فى الميّه .. ومتوفرة فى كل الصيدليات ، وعلى فكرة .. الدين محرّمهاش ...

وكله والا «جُمّار النخيل « .. الحاجات دى متجيش جنبه شكّة .. عارف جمّار النخيل يا أستاذ ؟!

لو تعرف لنا حد هنا .. يخدمنا ويجيبه لينا .. يبقى وفّرنا على نفسنا كتير .. دا بقى منشّط طبيعى !!

خرجت مسرعا ؛ لأطمئن شكرى فى الحجرة المجاورة.. كانوا قد أطفأوا الأنوار .. وبدت الأِسرّة تحمل أجسادا هجرتها معالم الحياة .. إلا من شخير ، وتأفف من الحرّ

★★★

النخيل هنا يملأ الواحات ، وهناك موسم لتقليمه ، وللتخلص من بعضه ، مما قلّ عطاؤه ، وصار عبئا على المكان ...جذبنى مشهد ربما يكون قد توارى عن ذاكرتى من زمن ، لكنه الآن عاد يطرقها ، وبقوة .. فعندما يشاع

فى البلدة خبر وقوع نخلة فلان .. كنا نتسابق ، ونتقافز حول النخلة التى سقطت ؛ فيزجرنا « مقلّم النخيل » ، أو يحثنا على الجلوس ساكتين ، كى يعطينا قطعا صغيرة من الجُمّار ... يربط المقلّم وسطه بحبل، ويده تقبض على « قادوم» .. سنّه خصيصا .. يبدأ يخلص رأس النخلة من الجريد اليابس ، والليف ، وكالجرّاح الماهر

يشق الرأس إلى أن يصل إلى عمقها الأبيض .. والكبار يجلسون حوله متحلّقين .. يوزع قطع الجمّار عليهم ، ثم يعطينا – نحن الصغار – شيئا قليلا ، والكبار يزجروننا ، ويحثوننا على الابتعاد ...

– ما أكثر النخيل فى الواحات !!

هل يفطن الناس لتلك الثروة ، ولذلك الكنز ؟!

لو فطنوا ؛ لأقاموا المصانع التى تعبّىء الجُمّار، بجانب مصانع العجوة سواء بسواء ، وكما للعجوة موسم يصير أيضا للجُمّار موسم ... بالفعل إنه استثمار المستقبل .. لن يحتاج من هو مثل « شكرى « إلى حبة زرقاء ، ولا حمراء ، أو حتى دهانا ، ويبقى رهنا لشركات الأدوية ، أو الاستيراد والتصدير فقط قد يتحوّل الجمّار إلى مسحوق يشرب مثل الشاى، أو القهوة ، أو حليب الأطفال المجفف ، أو قد يعبّأ على هيئة قوالب الشيكولاته ، وفى كل الاحوال سيكون له القابلية ؛ فهو منتج محلّى .. طبيعى .. ليس به مواد حافظة، وربما

يكون خاليا من « الكوليسترول «.... الآن تستبد بى الأفكار .. لقد جاء وقت الحاجة لصديق من أهل الواحات لعله يصبح شريكا ، وعلى الأقل ينمو المشروع على عينيه .

-٦-

عندما طالعتُ وجهه للمرة الأولى.. توقّعت ما ظننته ..ابتسامة تكسو الوجه .. قال وهو يدقّ مسمارا فى الحائط :

– أحلى حاجة رحلات السفارى ، واستطرد ، وهو يعلّق قميصه المكوىّ :

– ناس كتير تدفع فلوس عشان تزور الواحات .. احنا نحمد ربنا إنه كتبها لينا من غير ما نسعى ليها ، لكن المشكلة فى التوقيت، ولما شاهد علامات الرضا على وجهى االتفتَ إلىّ :

– انت معاى فى الرأى دا يا استاذنا ؟

رحلات السفارى – بالنسبه لى – محطات فاصله فى حياتى .... وأنا فى المرحلة الإعدادية تركتُ البيت دون علم والدى وإخوتى الذين يكبروننى ، وأتيت إلى القاهرة .. ثم اتصلتُ بهم من هناك ..جئت إلى القاهرة ، ولم يكن معى سوى ثمن تذكرة القطار .. يومها زوّغتُ من

"الكمسارى»، واحتفظتُ بقيمه التذكرة.. فى اليوم التالى توجّهت إلى الأهرامات ، ثم ترجّلت من الجيزة إلى برج الجزيرة .... المسافة لم تكن هيّنة ، لكن جاذبية البرج ، وندّاهة شوارع القاهرة جعلتنى أسير فى الشارع كإنسان «سارقاه السكّينّ» كما يقولون !

كنتُ مستمتعاً بالزحام ، وبطنين السيارات ، ونداء الباعة الجائلين من حولى .. كل ذلك هوّن علىّ السير.. كان الجو حاراً، والرطوبة عالية ، لكنها أهون من حرارة موسم الحصاد الذى جئت هاربا منه

نظر إلىّ «الإكسلنس» قائلا :

– شكلك سارح فى اللى بفكّر فيه ؟

بالفعل كنت سارحا ، لكن مع شبابى الغابر فى الرحلات الجامعية ، ونُزُل الشباب ، والمعسكرات الطلابية فى «أبى قير» ، و «الغردقة» لم يقطع انهماكى سوى صوته المُلحّ :

– ممكن بعد العصر ننزل سوا ؟

بس بشرط ... أنا وأنت وبس !.. نستكشف المكان .. مش عايزين لمّة .. قالها وابتسم وهو يتابع حركة العيون التى أخذت ترصدنا ، وتتغامز .

– بيقولوا فيه هنا جبل .. المنظر من فوق منه خطير .. اسمه جبل الانجليز .

تذكّرت جارى القديم « أحمد الواحاتى » الذى عمل معى فترة فى نفس المدرسة .. وجذبته ندّاهة بلدته ؛ فعاد ليستقر مع بنى جلدته .. كان علىّ أن أتصل به ، وأبلغه – كما وعدته – تليفونيا بأن أقدامى وطئت أرض الواحات.. حدثتنى نفسى أن أفعل ، غير أنى كنت أقول : ليكن الاتصال فى وقت أفضل ، وفى مناسبة أكثر أهمية .. فمازال موضوع المشروع الاستثمارى يستولى على تفكيرى .. لقد اصبحت الفرصة مواتية الآن عاودنى الإلحاح :

– لكن هل هناك لحظة أهم من هذه ؟!

أو هناك ظرف أكثر أهمية من هذا الظرف ؟.. قرابة الشهر فى الواحات .. إن لم أتصل أكون ناقضا للعهد .. بالفعل أنا فى أمسّ الحاجة إلى رفيق من أهل البلد يعرف الدروب ، والمسالك إلى هذا الجبل .. منه وإليه ... قال «الإكسلنس» فى نبرة زاحفة :

– صلاة العصر .... وكررها .

قلت :

– سأجرى مكالمة ، ولو الظروف مناسبة سنكون سويا إن شاء الله وأكدت له :

– صلاة العصر ؛ حتى فطن البعض ممن يتركون أذانهم معنا إلى أن هذا (سيم بيننا) ، وراحت أعينهم تتغامز .. جاء صوت أحمد الواحاتى هاشّا .. قال فى نبرة حميمية :

– فى انتظارك بعد العصر .. أومأتُ إلى « الإكسلنس » ، وعلى الفور تهلل وجهه .. أدرك أن شيئا من أمنياته بدأ يتحقق .. ردد فى صوت مسموع :

– جبل الانجليز .. نسى نفسه ، وأخذ يرددها دون اكتراث بمن هم فى الحجرة ..

لم يضع فى حساباته فضولهم الذى – ربما – يدفعهم للرفقة .. وعندما أفاق سحبنى من يدى بعيدا عن الأعين المترصّدة .. همس :

– أنا رايح الجامع .. سأنتظرك هناك .. متتأخّرش يا كبير !

★★★

كانت السيارة «الجيب».. ذات الدفع الرباعى متأهّبة .. أمام باب الجامع الكبير .. خرجت من المسجد فى عجالة.. ألقيت جسدى فى السيارة .. حمدت الله أن زجاجها أسود.. لا يستطيع مَن بالخارج أن يستبين مَن هو بالداخل.. كان الإكسلنس قد تبعني كظلي .. ظننت أنه لم يفطن إلينا أحد .. انحدرت السيارة إلى الطريق الرئيسي .. انحنتْ ثم صعدتْ ، وأحمد الواحاتي صامت .. لم يقل أكثر من :

– الواحات نوّرت

التفتُ إلى المقعد خلفي .. كانت المفاجأة «صابرأبو السعود» بجوار «الإكسلنس»..... يا الله ! !

كيف سبقنا ، وحشر جسده المتلئ في السيارة قبلنا ؟! ..

إنه لا يعرف أحمد الواحاتي ، لا من قريب ، ولا من بعيد .. ربما تكون المصادفة وحدها التي جاءت به .. كثير من المصادفات تحمل المفاجآت .. لا .....لا يمكن لعقلي أن يستوعب .. وجوده ليس من باب المصادفات ، و لا يمكن أن يكون كذلك .. قد تحمل الدقائق القادمة الحقيقة .. وتكشف شيئاً من المستور .."صابر أبو السعود" الذي لم يبرح الاستراحة .. ولا يطيق هذا المكان منذ أن أتى .. هو لا يعلم إلى أين سنتجه ؟

قلت والخجل يسعى فى نبرات صوتي الخفيض :

– تاعبينك معانا يا أبو حميد

نصف ساعة كدا على السريع .. نشوف فيها جبل الإنجليز ورجّعنا تاني .. إحنا بنتاقل عليك ...." صابر أبوالسعود لا تربطه بنا صلة سوى أنه معنا فى نفس الحجرة .. التى كادت جدرانها تتآكل من الشمس ؛ حتى أن البعض أطلق عليها " معمل التفريخ ".. يفصل بين سريرى وسريره سرير واحد ، والمسافة بين الأسرّة لا تزيد عن ربع

المتر فى كل الأحوال .. ربما الصلة الوحيدة المباشرة التى ربطتنا هى صلاة العصر فى المسجد ، أو جلوسه صباحا باللجنة .. على دفتر الحضور والانصراف .... " صابر أبو السعود "يتمتع بكرش يختلف عن الكروش المعهودة ؛ فلا يبدو كرشه مترهّلا .. نازلا .. ولا مستديرا .. كرش صاعد غير هابط .. أجبره أن يضع الحزام قرابة صدره ....كان – كما سمعته فى أكثر من مرة – دائم الشكوى من «مرض السكر».. قال :

– جرّبت «الريجيم» ثلاث مرّات ، لكنى فشلت؛ فالحقيقة أنى أتمتع بطفاسة غير عادية .. وضحك وهو يقول :

– هناك أكلات لا أستطيع الصمود أمامها ... «المحشىّ» ، ويا سلام لو كرنب ، أو كوسه !!

وتحسس كرشه ، وهو يجلس .. يملأ الكرسى بجوار «الإكسلنس» الذى بدا إلى جواره كفأر منكمش ...

قال موجّها كلامه إلى أحمد الواحاتى :

– هو الواحد مننا ممكن يطلع جبل الانجليز على رجليه؟، وسكت قليلا ثم استأنف :

– نفسى يا أستاذ فى حاجة زى كدا عشان أخسّ .. ابتسم الواحاتى وردّ مازحا :

– إحنا هنخلى العربية هى اللى تطلع على رجليها ، عشان تخس ، ومتاخدش بنزين كتير ..

تعالت ضحكاتنا ، ولم يستطع « الإكسلنس » أن يمسك نفسه ؛ فما إن يفيق من نوبة حتى تأخذه نوبة أخرى ...

– يا ابن الإيه يا أبوحميد ، وأنا اللى كنت فاكرك قافل !

دا انت طلعت ابن نكتة !

ونظرتُ إليه والسيارة تنحنى ثم ترفع وجهها ، وتنحرف ذات اليمين وذات الشمال ، ثم فى حركة مفاجئة صعدت إلى أعلى قمة .. نشبت مخالبها فى الرمال ، وتشبّثت ، وإذا بنا – نحن الثلاثة – فى وضع مقلوب .. لم يستطع أحدنا أن يرفع قامته .. أخذتنا نوبة من الضحك الهستيرى .. وانبعث صوت صابر ابوالسعود متقطعا :

– شكلنا هنموت هنا فى الصحرا .. دا حتى الدبان الأزرق مش هيعرف لنا طريق !

جسم الإكسلنس النحيل ساعده على الاعتدال مبكرا، غير أنه لم يستطع السيطرة على هستيريا الضحك ...

– عيد الحركة دى تانى يا أبو حميد .. والله متعة .. قالها ، وضرب على فخذ صابر أبو السعود ثم استطرد :

– دى بقى اسمها الحركات الأمريكانى .. بنشوفها فى الأفلام وبس !

ترك الواحاتى السيارة تنزل للخلف فى بطء .. وكأنه صعب عليها مفارقة تلك القمة .. بدت ، وهى تتراجع كبقايا فلول .. لجيش منهزم ، ثم استدارت وصعدت إلى طريق فوق سفح الجبل .. بدا وجهه أبيض وسط سواد الصخور المحيطة .. ظلت السيارة تعلو ، وتهبط وتتقدم ، ثم توقفت عند نقطة معينة .. فتح الواحاتى الباب ، ونزل ثم فتح ذراعيه قائلا:

– أيه رأيكم فى المنظر دا ؟!

هنا آخر نقطة يمكن لسيارة ان تصل إليها ... كانت الشمس تطل مرتسمة كعين حمراء .. تخترق الأفق الضارب فى منتهى البصر ...على حافة حفرة سحيقة وقفنا .. مِلتُ على حجر فى متناول يدى .. ألقيته .. تأملته وهو يهوى كقطعة من الأسفنج .. عبثت بها الرياح لحظتها بادر إلى ذهنى مشهد الرجل الذى يهوى فى النار سبعين خريفا بسبب كلمة .. لم يلق لها بالا !

تراجع الواحاتى وهو يشير إلى بناية من الصخور .. شاهقة ..تقف فى وجه الريح .

– هذه البناية كان الانجليز ينصبون مدافعهم فوقها أثناء الحرب العالمية التانية ...تسابقت أنا والإكسلنس فى الوصول إلي تلك البناية مخلفين وراءنا صابر أبوالسعود الذى بدا ينهح .. يقدم رجلا ، ويؤخّر الثانية قال فى استسلام :

– روحوا انتو وانا هستناكم فى العربية .

بدت البناية على هيئة جدران غير مكتملة لغرفتين كبيرتين وأخريين صغيرتين .. الحوائط عبارة عن صخور رُصّتْ بعرض متر ، وارتفاع قرابة الأربعة أمتار .. صخور وضعتْ بطريقة هندسية ، دون دخول «مونة» ،أو «أسمنت» بينها ..يبدو ان الانجليز استخدموا نفس تقنية الفراعنة فى بناء الأهرامات مع الفارق .. صمم الإكسلنس أن يعتلى البناية ، ويأخذ صورا تذكارية من فوقها .. بحثت أنا عن مكان أقضى فيه حاجتى ؛ فقد امتلأت مثانتى التى أشبهها دائما بحوصلة طائر صغير .. كان أمامى أن أدخل إحدى الغرفتين الصغيرتين .. ظل الإكسلنس ينتقل من سور إلى سور، وكلما خطا خطوة ، أو قفز قفزة يصيح مازحا :

– هنا مدفع «اللورد كرومر» ، وهنا مدفع «تشرشل».... فى إحدى قفزاته تخيّلتُ أنه لو سقط ؛ فلن يفلح فيه طب ، ولا دوا ! !

أثناء قفزته الأخيرة قال مازحا :

– طُز فى «تونى بلير»، وطُز فى «أوباما».. وضحك – كعادته – مستأنفا :

– همّا الاتنين من فصيلة استعمار واحدة !

ثم بدا على وجهه شىء من الجد .. تساءل :

– هو الألمان وصلوا هنا فى الحرب العالمية التانية ؟

وعاد إلى المزاح مرّة أخرى :

– واللا يكونوا وصلوا ، واحنا مش واخدين بالنا !

واستطرد ، وهو يهبط إلى منحدر أسفل البناية :

– طب دا مكان المدافع .. فين بقى مكان حقول الألغام ؟!

– معقولة الإنجليز يكونوا نصبوا المدافع ، ونسيوا يزرعوا حقول الألغام ؟

– ودى تعدى عليهم برضو !

قالها الواحاتى ، ثم مستجيبا للغة المزاح التى يتقنها الإكسلنس :

– واحنا راجعين هبقى أسال لك «اندروف».

انقطعت ضحكة الاكسلنس، وتغيرت ملامح وجهه .. تساءل فى جدية :

– و «اندرو ف» دا يطلع مين ؟!

أجاب الواحاتى فى ثقة مَن قرأ التاريخ جيدا :

– «أندروف» قائد كتيبة الإنجليز وقتها .. رحل عن بلادنا ، وترك لنا اسمه منصوبا على قارعة شارع كبير.. يؤدى إلى «اللجنة» والاستراحة اللى انتوا ساكنين فيها .

هنا أصابنى شىء من الدهشة المصحوبة بالخجل .. وجدتنى أقول :

– البلد الوحيدة فى العالم التى تخلّد الغرباء؛ حتى ولو كانوا أعداء ! !

وانبعثت تساؤلاتى داخل نفسى .. هل هى طيبة المصريين ؟

أم هى قلّة الزعامات الوطنية والرموز ؟

أم هو الحظ بعينه .. حطّ رحاله لهذا الأجنبى وأمثاله؛ لتخلّد ذكراهم بسبب كلمة ، أو موقف ربما كان فى الأساس ضد الوطن ، وبادرت إلى ذهنى حال شوارع القاهرة الأشهر.. «ماسبيرو» .. «شامبليون» .. «كلوت بيك» «هامفرست» .. «ستانلى».. «سوكارنو» «شارل ديجول» وغيرها .

قناعاتى تقول لى :

– إنها عادة المصريين ! !

يخلّدون الأجانب من باب إكرام الضيف ؛ فها هو «أندروف»

شارع كبير .. طويل وعريض يحمل اسمه بالباويطي الذي لم يشأ احد منا أن يسأل :

من هوالباويطي ؟

او ما هي قصته ، وماذا فعل كي يطلق اسمه على كبري الواحات ؟

★★★

عدنا إلى السيارة الهاجعة فوق التبّة .. كانت فردة الكاوتش الأمامية قد نامت .. متعاطفة مع صابر أبو السعود الذى نام بالداخل ، وربما مستجيبة لرغبته .. غطّى الظلام المكان .. لم أكد أتبيّن الخيط الأبيض من الأسود .. حاولت إيقاظ صابر أبو السعود لم أجد من الكلام ما أقوله .. سبقنى الإكسلنس وهو يصيح :

– اصحى يا وش النكد .. نبرت فيها يا معلم ! ..

آهى أمنيتك تحققت يا وش المصايب .. هتنزل على الأقدام يا حبيبى ... «أون فوت يعنى»..... مضينا تاركين السيارة فوق سفح الجبل .. يتقدمنا الواحاتى .. يتبعه الإكسلنس، ومن ورائنا صابر أبو السعود يصيح ، وقد تملّكه الرعب :

– استنوا .. بالراحة .. انتوا هتسيبونى لوحدى ، وراح يتدحرج مثل «شوال تبن» ألقوه من فوق سفح الجبل .

★★★

أمام شباك المطعم وقف امجد العشماوى ، وبيده ورقة كبيرة .. اخذ يطلب من كل من يمرّ من أمامه التوقيع

عليهـا، ويشـرح لمـن يـرى فـى عينيـه الـتردد قائـلا :

– طلـب اسـتبدال « وجبـة العشـا « بميـاه معدنية .. سارسـلها فـى صـورة فاكـس إلى مكتـب الوزيـر ، ولكـن بعـد توقيـع الجميـع عليهـا .... قـرأ صابـر أبـو السـعود نـصّ الشـكوى ؛ فلـم تعجبـه «الديباجـة» .. ممـا جعلـه يبـدى ملاحظاتـه التـى ربطهـا بتوقيعـه .

قال العشماوى موبّخا :

– انـت عامـل زى العجـين الماهـى .. متوقّعـش .. عنّـك مـا وقّعـت .. بناقـص .. توقيعـك لا هيقـدم ، ولا هياخّـر ! !

صاح أبو السعود وهو يرد على العشماوى :

– وأنت بسلامتك عامل زى « العُلّيق «.

تطّـور الأمـر سـريعا إلى الاشـتباك بالأيـدى .. لكـن الملاحظـين تزاحمـوا، واسـتطاعوا الفصـل بينهمـا علـى الفـور ، غـير أن طايـع ألقـى حجـرا فـى المـاء الراكـد عندمـا أطلـق ضحكتـه قائـلا:

– لا بـس حلـوة العُلّيـق دى ، ثـم نظـر إلى صابـر أبـى السـعود الـذى جلـس ، والعـرق يتصبـب علـى جبهتـه العريضة :

– إلا قـول لى يـا صابـر مـش تعرّفنـا «العُلّيـق» دا يطلـع ايه ؟!

كالبرق ردّ الإكسلنس

– أنت لازم تولّعها بعد ما خلاص طفيناها .. العُلّيق .. ياسيدى دا حبوب زى «الفياجرا» بعيد عنك .. وصلت والا دى كمان هتسأل هى أيه ؟

ارتسمت الابتسامة على أوجه الجميع مرّة أخرى .. اخذت الورقة من يد أمجد العشماوى، واستكملت التوقيعات بما فيها توقيع صابر أبى السعود، وراح سعيد عويجة يغنى بصوته المزعج .. مرددا

– مشربش الشاى .. أشرب ميّه معدنية أنا ، والبلوصى يطبل بملعقة صغيرة على «صينية شاى»، وهو يتراقص مزهوا بنفسه .

-٧-

الوقت يمرّ بطيئا .. ننام ، ونستيقظ فى انتظار آذان العصر، ونعود ننام ، ونستيقظ فى انتظار آذان المغرب .. ليست من وسيلة للترفيه هنا ، وأقصى ما يمكن فعله هو الخروج فور مغيب الشمس إلى فناء المدرسة المتصلة بالاستراحة ، وافتراش حصر البلاستيك ، أو الملاءات والبقاء عليها قعودا أو نياما بجانب التليفونات التى ما إن تفرغ من المكالمات حتى ترسل بعضا مما حملته بطونها من أدعية وقرءان وأغان ... لا شىء آخر يمكن ان يسحب الوقت من بين أيدينا اللهم إلا تلفزيون .. وضعوه فى حجرة المطعم .. هيأوا له الطبق ليستقبل مباريات كأس العالم ...كرة القدم صرت أمقتها كما أمقت إسرائيل .. منذ أن حدثت مذبحة "ستاد بورسعيد " .. لا أنكر أنى كنت – ذات يوم – أتعصّب للزمالك لدرجة البكاء عند هزيمته ، والشجار مع أصدقائى الأهلوية عند المكسب ... وأنا عائد من معرض القاهرة الدولى للكتاب كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ليلا، وفور نزولى من الميكروباص على مشارف ميدان رمسيس .. بدا الميدان ساحة للاقتتال ..كراسى تتطاير .. بشر يجرون

فـى كل الاتجاهـات بضائـع تتناثـر هنـا وهنـاك.. جنازيـر .. أحزمـة .. سـنج ومطـاوى .. طلقـات ناريـة ... توقفـت حركـة السـيارات تمامـا.. لم يعـد سـوى أشـباح تتحـرك .. أصابتهـا نوبـة مـن الذعـر .. ذكّرتنـى بالذعـر الـذى أصـاب المصريـين فـى زلـزال ١٩٩٢ .. لم أسـتطع دخـول سـاحة الميـدان .. توقفـت فـى ناصيـة جانبيـة .. أخـذت أراقـب المشـهد .. عسـاها تهـدأ الأمور..اتصلـت ببيتـى .. جاءنـى صـوت زوجتـى – عـبر التليفـون – مصحوبـا بصـوت الضـرب علـى الصـدر ،واللطـم وهـى تصيـح :

– يا مصيبتى ! .. فيه ايه يا راجل ؟

طلبـت منهـا أن تهـدأ ؛ حتـى أفهّمهـا ، وبالفعـل قلت لها :

– أنـا عالـق .. عالـق هنـا .. شـفتى الفلسـطينين العالقـين علـى الحـدود .. أنـا زيهـم .. رمسـيس مقفـول ، والمـترو توقـف تمامـا .. هحـاول أشـوف لوكانـده أبـات فيهـا ، أو حتـى هقضى الليلـة فـى محطـة مصـر .. وجاءنـى صوتهـا :

– وأنـا أقـول التلفزيـون بيذيـع صـور مذبحـة حصلـت فـى بورسـعيد ! !

ضحكـت ولسـت أدرى إن كنـت فـى وعيـى أم غيّبتنـى الأحـداث والمشـاهد .. وجدتنـى أقـول :

– ما هي دى المصيبة ... ومن يومها حسمت أمرى .. قررت أن أطلّق الكرة .. طلاقا بائنا ، لا رجعة فيه .. لا أشجّع ولا أشاهد مبارياتها مهما كانت الأسباب .

★★★

أمس قال لى «سعيد عويجة» :

– مباراة البرازيل هتبقى نار !

وعندما وجدنى لا أعيره اهتماما قال :

– أنت مش هتشوف مباراة «الجزائروالمانيا» ؟

دى الجزائر !

على العموم هيفوتك نص عمرك !

كسرت صمتى لأعلن موقفى صراحة .. أقسمت له لو أن والدى الذى مات من سنين .. طلع من قبره ولعب فى المباراة ما وقفت أمام شاشة يأتى صوت المذيع فيها من إسرائيل !

ضحك فى بلاهة ، ثم قال والشماتة تملأ نبرات صوته :

– عشان بس تعرفوا إن الجزيرة عملاء وخونة، واستطرد :

– الجزيرة الكفرة رفضوا يدونا البثّ .. يبقى إسرائيل أرحم وأشهد على كلامه «طايع» الذى بدا ماسكا بطنه ،

ومسرعا ناحية الحمّام .. قال طايع من غير أن يعرف أصل الموضوع :

– طبعا إسرائيل أرحم !

أصابتنى نوبة من الغثيان .. بسبب كلامه الذى بدا كسور ظاهره الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب .. قلت قبل أن ادخل فى إغماءة لست أدرى إن جاءت بعدها إفاقة أم لا ؟

– إسرائيل تبثّ مباشر لأن الحكومة هناك حاطة المواطنين فى اعتبارها .. تحرص على توفير أكبر قدر من الرفاهية لمواطنيها .. نزلت عليه كلماتى كالسياط .. ألهبت ظهره ؛ ففر على أثرها هاربا ، وتركنى أعوى .. لكننى لم أتوقف .. ظلت لعناتى تنصب على عصر وجدنا فيه من يتعاطف مع إسرائيل .. ذلك الكيان المغتصب لأرضنا ، والمستبيح لدماء شعوبنا .. وتلك الشوكة التى غرسها الاستعمار فى قلب أمتنا قبل أن يرحل .. عصر تسطّح فيه تفكير الناس، وخاصة الذين هم – من المفترض – مثقفون .. يحملون رسالة تؤسس للانتماء للوطن ، وحبه ، والتفانى من أجله ... عصر وجدنا فيه «متصهينين» جدد .. لو أتيحت لهم الفرصة – على طريقة تفكيرهم هذه – لهاجروا إلى ذلك الكيان ، وتمسّحوا فيه ، ولتطوّعوا فى جيشه المزعوم بهتانا .. جيش الدفاع .

★★★

كان علىّ أن أفعل شيئا انتقاما من الكرة التى جعلتنى فى هذا الموقف .. فكرت كثيرا .. وترددت .. لكن لا بد من إيجاد وسيلة مناسبة للانتقام .. ها هم الزملاء يجلسون أمام التلفزيون عاكفين ..عازفين حتى عن وجبة العشاء التى حان موعدها .. يجأر الريس عزمى مسئول التغذية .. يصيح مرددا بأعلى صوته :

– يا اخوانّا .. عاوزين نروّح .. الساعة بقت تسعة .. ورانا بيوت وعيال زيّكم كان الموعد المقرر لهذه الوجبة من السابعة إلى الثامنة والنصف .. وصوت المذيع يأتى من حجرة المطعم باللغة العبرية .. غليظا كصوت الحمير عندما تلتقى بذكورها ، والحاضرون يتجاوبون فى نقاشاتهم أمام الشاشة.. يتعصّبون لهذا ، أو لذاك .. عند نهاية المباراة يخرج سعيد عويجة .. يصيح فى جنبات الاستراحة .. مقلدا صوت المذيع عندما ينفعل للعبة معينة ، أو عند إحراز هدف .. صوت يبلغ فى حدود الإزعاج مداه ، ثم يختتمه معقبا بلغتنا.. ماطّا صوته :

– اصحوا يا بشر !

ويمضى إلى الحمّام .... تصرفات هذا السعيد جعلتنى أضمر فى نفسى شيئا .. لم أستطع إخفاءه عن الإكسلنس؛ فهو الوحيد الذى أثق فيه ، وهو الوحيد الذى يمكن أن أئتمنه على سرّى ، فضلا عن أنه الوحيد الذى لديه جرأة

تنفيذ ما أضمره ... أوحيت إلى الإكسلنس أن ينتهز فرصة مناسبة .. يعتلى فيها المبنى ، ويغيّر وجهة الطبق .. جاءت الفكرة بمثابة الدواء لجروحه ، وبالفعل لم يتوان ؛ فأراحنا من صوت هذا المذيع ، وهذا السعيد .

★★★

فى الصباح ونحن نتوجّه إلى اللجان قال رفعت البلوصى :

– دى إيه الصحرا اللى احنا فيها دى ؟.. العملية ناشفة قوى ! !

تخيّلوا .. أسبوع بحاله عينى منضرتش نسوان .. بلد مفهاش خير !

أطلق صابر أبو السعود ضحكته المتقطعة ، ثم رد مؤيدا «البلوصى» :

– البلد اللى مفهاش نسوان فعلا مفهاش خير ، واستطرد :

– بتوع الإدارة العامة للامتحانات معندهمش نظر .. باعتين تلات ستات فى اللجنة .. ردّ البلوصى فى دهشة :

– بجد ستات !

– أيوه يا سيدى .. واحدة اعتذرت ومجاتش من أساسه ، واتنين بياخدواالأكل معانا فى الاستراحة ، لكن السكن فى شقة بره !

قال الشيخ عبدالفضيل :

– بالفعل بتوع الوزارة معندهمش نظر .. ازاى يبعتوا واحدة وراها بيت وعيال ؟

تسيب بيتها وعيالها ، وتيجى هنا فى المنفى شهر بحاله ! !

قال صابر أبوالسعود والتثاؤب يغالبه :

– الكمبيوتر هو اللى بيوزّع .

أطلق البلوصى ضحكته وقال ساخرا :

– والكمبيوتر دا أحول .. معندوش نظر ! !

قال الشيخ عبدالفضيل :

– هو الكمبيوتر بيوزّع من نفسه ، والا الأفندية اللى نايمين على ودانهم همّا اللى بيزودوه بالمعلومات ؟!

فى نهاية السلم جلس صابر أبو السعود وأمامه «دفتر التوقيعات» التفّ المدرسون حوله فى شكل دائرة .. كل منهم يبحث عن تكليفه ثم انفتحت الدائرة .. تقدمت سيدتان .. الأولى فارعة الطول .. ذات عيون واسعة ، وبشرة سمراء .. جاء صوتها غليظا متناسبا مع هيئتها .. قبضت على القلم .. قالت وهى تتأفف بعد أن هيّا لها صابر ابو السعود الدفتر.

– خلاص الرجالة خلصوا عشان تحطّونى فى لجنة على الصبح ! !

وقّعت أمام اسمها ، وتراجعت خطوتين للخلف ، ثم راحت تمطر الموجودين بنظراتها ، وظلت عيناها تجوبان المكان .. إحدى قدميها تضرب الأرض ضربات سريعة .. متلاحقة .. أسندت ظهرها للحائط .. لم يستطع البلوصى إخفاء ابتسامته .. قال وكأنه يسرق الكلام :

– إلعب يا أرمط !

أما السيدة الأخرى ؛ فكانت متوسطة القوام ممتلئة نسبيا .. لكن هيئتها لم تحرم من الأنوثة .. بدت مزججة الحواجب .. وبدا شىء من « الماكياج » على وجهها ، واستقرّ على الشفتين .. قالت فى صوت هامس :

– يعنى أنا – كدا – النهارده احتياطى .. وتراجعت للخلف ؛ لتقف بجوار رفيقتها .. غير أنهما لم تتبادلا أطراف الحديث ، ولا حتى النظرات .. كانت المشاركة تبدو فى الموقع الجغرافى فقط ؛ حيث الالتصاق بالحائط !

ومن الوهلة الأولى تبدوان كقطبين متنافرين .

أراد صابر أبو السعود أن يكسر حاجز الصمت فقال مرحبا بهما :

– نوّرتونا !

جاء الرد سريعا كصوت الرعد مصحوبا بصداه .

– دا نورك !

ثم جاء الصوت الغليظ منفردا :

– متعرفش يا اخوى التحقيق اللى باعتينه لى عشان ايه ؟

قال أبوالسعود وهو يلتفت ناحية مكتب رئيس اللجنة :

– المحققون عند الريّس .. هيستدعوكى ، وهتعرفى بنفسك،وانبعث صوت الجرس .

★★★

ما إن فرغت من إحصاء الأوراق ، ومررت على اللجان حتى وجدتُنى أسيرا لصورتين متناقضتين .. البلّوصى المتلهّف لشىء من رائحة النساء ، ومدام تهانى التى سحبت كرسياً وجلست فى نهاية السلم ، لتبدو كالاسد القابع فوق كوبرى قصر النيل ..

– ترى ما الذى أجبر مدام تهانى على أن تترك أسرة قد تكون فى أمسّ الحاجة إليها ، وتأتي إلى هنا .. مسافة الأربعمائة من الكيلو مترات ؟!

لماذا لم تقدم « اعتذارا « مثل « حسنية « التى أخذت الأمر من قصيره .. قطعت عرقا وسيّحت دمه !!

هـي بالفعـل تغيّبـت ، لكـن لا يعلـم أحـد مـن أعضـاء اللجنـة .. هـل هـى تغيّبـت فـى حمايـة « اعتـذار «، أم أنـه القـرار الشـجاع مهمـا تكـون النتائـج ؟

حملقـت مـدام تهانـى فـى صابـر أبـى السـعود ، وهـو يقـدم لهـا دفـتر التوقيعـات ثـم ضربـت بيدهـا علـى «الترابيـزة» وزعقـت :

– انت بتبحلق فيّا كدا ليه.. مشـوفتش نسـوان قبل كدا ؟؟!

كانـت كلماتهـا بمثابـة جـردل مـن المـاء البـارد .. سـكبته علـى صابـر أبوالسـعود في يـوم شـتوي قـارس ؛ فلـم يسـتطع أن يباعـد بـين شـفتيه ، وينطـق ، ولـو بحـرف واحـد !

ماتت الكلمات على شفتيه الملتصقتين .

أدرك البلّوصـي أن دوره قـادم لا محالـة ، وربمـا يكـون كلامهـا لـه أشـد قسـوة؛ فتسـحّب مـن سـكات ، ولم يـبن لـه أثـر في المبنـى بأكملـه ....

-٨-

«سجام» .. «سنجام» .. قرعت هذه الكلمة طبلة أذنىّ، وظل أثرها يتردد حتى هذه اللحظة .. لم يكن بوسعى أن أحدد النطق السليم ، وأيها الأدق .

جاء على لسان الريّس عزمى مسئول التغذية .. كنت أسمعها للمرة الأولى .. قال الريس عزمى :

– المياه الكبريتية هنا كثيرة ، وهى مقصد السائحين .. ماء ساخن يتدفق .. يخرج منه البخار مصحوبا برائحة الكبريت ...

منذ أن وقع هذا التعريف الموجز ، وخاصة أنه جاء على لسان واحد من أهل البلد .. منذ ذلك الحين وأنا مفتون بالقيام بزيارة إلى هذه العين ، والاستحمام فيها .. أخذت قرارى بالتوجه إليها منفردا ، وبعدما أستمتع .. قد اعود مرة ثانية بعض ممن يصيبه الحظ ، ويكتب له القدر أن يكون معى ... انحدرت إلى شارع كبير .. الشمس تلهب الرءوس .. وقفت عند أول تقاطع ، وكالتائه أخذت أسال العابرين، وأستوقفهم .. كانت «الموتوسيكلات» ، والسيارات

تمرق مسرعة .. سيارات غريبة الأشكال والموديلات .. منها القديمة جدا التى تعود إلى حقبة الستينات والخمسينات، ومنها الحديثة الفارهة .. أغلبها من طراز «الجيب» ذات الدفع الرباعى .. كل شىء هنا يخضع لقوانين الطبيعة .... قال أحدهم ، بعد أن هدّأ ومال ناحيتى بالموتوسيكل :

– المسافة حوالى ربع ساعة بالعربية .. ممكن حضرتك تنتظر أخلّص مشوارى وارجع أوصّلك .. ساعة زمن .

استهجنت هذا العرض فى نفسى .. رددت شاكرا .. طلبت منه أن يصف لى الطريق ... على حد وصف الرجل كان الأمر سهلا .. يمكننى أن أترجّل المسافة ما دامت على نفس الطريق مهما كلفنى من وقت .. غير أنى تذكرت كلام الريّس عزمى عندما اختتم كلامه بهذه العبارة (سجام بتشتغل من تمانية الصبح إلى ستة المغرب) .. كان الوقت قد تجاوز الرابعة عصرا ، ولا أدرى هل أتمكن من قطع المسافة أم لا ؟

نصف ساعة وأنا أحث الخطا ، والشمس تلاحقنى .. لم يبن لها أثر!

تُرى هل أعود ، وأنتظر فرصة أخرى؟ ، أم يأخذنى العناد – كعادتى– وأواصل ؟!

وأنا على هذه الحال .. بصرى فى واد ، وفكرى يروح ويجىء فى واد آخر .. يضرب الهواء الساخن وجهى محملا بذرات من الرمال .. اقترب منى «تروسيكل» يقوده رجل .. تغطى رأسه عمامة بيضاء ، وتنزل على الكتفين .. رجل نحيل .. بدا من ملامحه أنه تجاوز الخمسين .. انحنت شعيرات لحيته البيضاء أمام الهواء العابث .

– اتفضل اركب .

شكرته ، والدهشة تنتابنى .. قال الرجل :

– انت رايح «منديشة»؟

لم أتفهّم مقصده .. قلت فى براءة :

– أنا رايح «سنجام».

ضحك الرجل وهو يقول :

– تقصد «سجام».. واستطرد :

– عين سجام فى الطريق وانت رايح منديشه .. اتفضل اركب هوصّلك فى طريقى .. صعدت بعد تردد .. لأتقوقع فى صندوق .. تكسو أرضيته حصيرة بلاستيك تآكلت من حوافها .. جلست فوق كومة من البرسيم الحجازى ..تملا رائحة النعناع أنفى مصحوبة بروائح أخرى لنباتات لا أعرفها .. دفعنى فضولى لأتساءل عن تلك الرائحة التى أشتمّها للمرة الأولى فى حياتى .. استدار الرجل .. منحنى

نصف التفاته .. قطع دهشتى :

– دا نبات اسمه « فيلية » بيطلع لوحده فى الأرض .. بناخده ..نغليه ونشربه للمغص وللبطن عموما ، ثم عاد ينتبه للطريق الذى بدا ينحدر ، وأطلت الأشجار فى جانبه الأيسر .. مال الرجل بالتروسيكل .. أسفل لافتة كبيرة .. نصبت بشكل مائل على عمودين من الحديد الصدىء ... قال الرجل :

– ادخل شمال مسافة خمسين متر ، وحزم شيئا من النعناع والفيلية .. صمم أن آخذها .. استوقفتنى اللافتة .. لم تسلم من عوامل التعرية ؛ فالأحرف التى كتبت بالعربية ، وبالانجليزية أكل الصدأ معظمها .. لكن بوجه عام يستطيع المتطلع إليها أن يرى (أهلا بكم فى عين سجام) لم أشغل بالى باسمها ، وهل هذا الاسم يعود إلى العصر الفرعونى ام الرومانى ؟

أم غير ذلك ؟

وشغلنى ذلك الرجل الذى استضافنى دون أن يسألنى من أنت ؟

أو لماذا ؟

هذا الرجل الذى تصرّف معى بكل ألوان البراءة ، دون أن يكون له سابق معرفة بى .. عندما شاهدنى أُخرِج شيئا من النقود ، وأقدمها له .. زجرنى .. قال وهو يدير التروسيكل :

– انت كدا بتشتمنى يا أستاذ !

الله يسامحك ، ومضى تاركا نبرات صوته تتردد فى أذنى

– وانت راجع شاور لأى عربية داخلة البلد .. هتقف لك .. اركب وانت مطمّن .

★★★

رائحة الماء تهفهف مصحوبة بأنفاس الزروع .. أقف على حافة حوض أسمنتى لا تتجاوز مساحته الخمسة أمتار طولا وعرضا .. يغطى الماء قرابة صدر من يقف داخله .. ماء يندفع عبر فوهة ماسورة كبيرة .. انحنيت لألمس الماء.. بالفعل الماء ساخن فى درجة الاستحمام أو أشد قليلا .. لون الماء يأخذ لون ماء البحر ، لكن ينفرد برائحته النفاذة .

الحوض الأسمنتى محاط بأشجار النخيل من ثلاثة جوانب، والجانب الرابع تتقاسمه بناية كبيرة مع المدخل المؤدى إلى الطريق الرئيس .. اقترب منى شاب طويل ذو بشرة خمرية .. قرأ توجسى .. قال وابتسامة هادئة تغطى وجهه :

– أهلا وسهلا .. هنا أمان .. سيب هدومك فى أى مكان خد راحتك .. هنا فيه حمّام ، وفيه مسجد .. نظرت حيث يشير إلى بناية صغيرة تكسوها أوراق اللبلاب .. بابها مفتوح .. أرضيتها مفروشة بحصر البلاستيك الخضراء... للماء جاذبية .. كيف لى أن أقاومها ؟ بعد أن قطعت المسافة ووصلت

بشقّ النفس .. على حافة الحوض جلس ثلاثة أشخاص أو أربعة يدعكون أجسادهم السمراء بالليفة ، وبالصابونة ، ورجل وحيد داخل الحوض ذو بشرة حمراء .. يعطى ظهره للماء المنهمر، ثم يأخذ نفسا طويلا ، ويغطس ، ثم يعود يمارس نفس الفعل .

قال الشاب الطويل :

– أنا اسمى حسن .. معروف هنا بحسن الزبوى ..على فكرة أنا خرّيج آداب القاهرة المفروض قسم : وثائق ومكتبات.. بشتغل هنا .. أعيش مع النخيل ، والأبقار، والأغنام ، والخضرة ، والصحراء !

وضحك ثم شجعنى قائلا :

– انت لسه خايف ؟ .. انزل .. دى فرصة !

كانت عيناى ترقبان من حين لآخر الرجل ذا البشرة الحمراء .. مازال على عهده .. يأخذ نفسا طويلا ثم يغطس؛ فتطفو سلسلة ذهبية .. يتأرجح فيها الصليب النافر ..

– تُرى هل هناك علاقة بين السيارة الفارهة المركونة ، وبين هذا الرجل ؟!

هذا ما بادر إلى ذهنى وأنا أهمّ بخلع قميصى ، ويدى تتردد فى فتح أزراره ... صعد الرجل إلى حافة الحوض .. قال بلهجة أقرب إلى الفصحى .. تغلفها اللكنة اللبنانية :

– لا تخف .. الماء ممتع .. هذا ماء للعلاج .. ماء ترتاح له خلايا الجسم .. انزل حبيبى ... بدأت بإنزال قدمىّ .. لسعة الماء تنهش ساقى .. انقبض قلبى قال حسن الزبوى :

– انزل مرة واحدة واغطس على طول هتلاقى الأمر طبيعى وعادى

منظر الطحالب العالقة بجدران الحوض ، والطافية فوق سطح الماء أصابنى بالاشمئزاز .. قال الرجل ذو البشرة الحمراء :

– هيدا كنز .. عندكم كنوز شو كتير يا مصريين .. وعاد إلى الفصحى

– أنتم أصحاب طبيعة وحضارة ! !

انصبّت لعناتى داخلى على الحكومات المتعاقبة التى أهملت كل شىء، وأماتت كل شىء .. أماتت الزراعة.. أماتت السياحة .. أماتت الصناعة ..أماتت الإنسان والحيوان على حد سواء ..عدت من شرودى .. دفعت بجسمى كله تحت الماء الساخن المنهمر بغزارة ، ثم رفعت رأسى لأجدنى فى زاوية من زوايا الحوض بدا الأمر طبيعيا .. استطابت خلاياى لسخونة الماء .. أخذت أغطس غطسات سريعة ومتلاحقة ثم توقفت لحظة .. أحسست أنه من واجبى تنظيف الحوض .. رحت – كمن يدفع الهواء بيديه – أدفع الطحالب المتناثرة على صفحة الماء ؛ لأهيأها للخروج

مع الماء الخارج من الجانب الآخر للحوض .. وضع أحد الجالسين على حافة الحوض الليفة والصابونة جانبا .. قال فى إشفاق :

– انت شاغل بالك بالطحالب ؟

متقلقش .. هيّا بتروح لوحدها مع الميه !

ابتسمت .. قلت وانا أواصل مطاردتى اليائسة :

– أهى محاولة !

ثم وجدتنى فى – الحوض – وجهاً لوجه مع الرجل ذى البشرة الحمراء .. ابتسم وقال بلهجة أجنبية :

– اوكيه

وعاد يحادثنى بفصحى ثقيلة :

– اسمى «مايك» .. لبنانى أمريكى ... اتخذت خطوة للوراء، دون أن أشعر ..اقترب وهو يبتسم :

– أنا أعمل معلماً بالجامعة الأمريكية ببيروت ..بادلته الابتسامة :

– وأنا مصرى .. اعمل معلماً بمصر .. أدرّس للملرحلة الثانوية .. تصوّر انا عرفت هذا المكان بمحض الصدفه !

قال وهو يغترف شيئا من الماء .. يقذفه على كتفيه :

– أنـا معلـم للمرحلـة الأوليـة .. تعنـى ال (كى.جـى) فـى مصـر هنـا تطلقـون عليهـا (ريـاض الأطفال).. ثـم بادر بالسـؤال..

– تقول إنك عرفت هذا المكان بالصدفة .. كيف ؟!

ودون أن أجيبه سألته :

– هل جئت إلى مصر من قبل ؟

قـال بعـد أن رفـع جسـده الطويـل علـى حافـة الحـوض مدليا سـاقيه فـى المـاء الـذى غطّـى فـوق ركبتيـه :

– مصر هى عشقى، واستأنف بالأجنبية :

– «آى لايك إيجيبت» ثم باللهجة اللبنانية :

– انا بحب مصر كتير كتير .. مصر أم الدنيا .

اعتقـدت أنـه باسترسـاله قـد نسـى سـؤاله الأول .. وجدتـه عـاد، يكـرر

– لكن قل لى كيف عرفت هذا المكان بالصدفة ؟

أيقنـت أنـه لابـد مـن الإجابـة .. قلـت والأسـى يطفـح علـى ملامحـى :

– عملـى .. جئـت مكلفـا بأعمـال امتحانـات الثانويـة العامـة المنعقـدة حاليـاً قـال والإشـفاق يبـدو فـى نـبرات صوتـه :

– سأتوجّه الليلة إلى «الصحرا البيضا»..

رحلة سفارى .. يمكنك – إن أردت – مرافقتى .. السيارة موجودة .. ليس معى إلا السائق .. أحتاج رفيق يشاطرنى المتعة ... وقع عرض» مايك» علىّ كالصاعقة .. مفاجأة .. وأى مفاجأة ؟!

«الصحرا البيضا» لم أسمع عنها من قبل .. لا أعرف عنها شيئاً تُرى أألبّى رغبته التى هى – فى الأساس – رغبتى ؟، أم أتقاعس، وأفوّت على نفسى فرصة؟

– أوقن فى قرارة نفسى أنها لن تتكرر مرة أخرى .... لا أحد من الزملاء فى الاستراحة يعرف طريقى ، وليست لدى الرغبة فى أن يعرف أساساً .. لو فعلت لوجدتنى غدا على صفحات الجرائد ..متصدرا عناوينها الرئيسية

(اختفاء ملاحظ بالثانوية العامة بلجنة الواحات)

(فقدانه فى ظروف غامضة)

(زملاؤه : كان يجلس معنا على الغذاء ، واختفى فجأة)

(لغز اختفاء الملاحظ بالواحات)

ندّاهة «الصحرا البيضا» مازالت تأخذنى .. لاحظ «مايك» شرودى عدت للماء ، و «مايك» يراقبنى .. كنت آخذ الماء ثلاثا فى فمى، وألفظه، وثلاثا فى أنفى، ثم شاهدنى أمسح على رأسى المبتلّ، فأذنىّ كان صوت حسن الزبوى ينبعث بآذان المغرب.. صوت ممطوط يغلفه الهدوء.. قال

حسن الزبوى، بعد أن فرغ من الآذان :

– عشر دقائق وهنفصل الكهربا .

سحبت جسمى من الماء .. شعرت بارتخاء .. بدأ الدوار يغزو رأسى دخلت المسجد .. كنا ثلاثة ، ورابعنا حسن الزبوى .. ترك «مايك» حذاءه على باب المسجد – كما فعلنا – ووقف بمحاذاة الصف .. كبّر الإمام ، وانحنى راكعا .. كان ظل «مايك» يتبعنا ، وفور أن سلّم الإمام، وجلس يسبّح اقترب منى «مايك» .. قال هامسا :

– بدى ابقى مثلكم .

نظر حسن الزبوى إلىّ ، وقد تهلل وجهه :

– بالفعل انت مثلنا .. الآن أنت واحد منّا .

أخذت بيد «مايك» .. اقتربت من الشيخ الجالس مقرفصا، وبيده مسبحة انطفأ بريقها .. كان الرجل يبدو أنه فى العقد الثامن .. كست التجاعيد وجهه الضامر .. مددت يدى مصافحا إياه ، ومدّ « مايك» يده ....

★★★

فى طريق العودة لم يكن يشغل بالى سوى الصحرا البيضا و «مايك» الذى وضعنى فى موقف لا أحسد عليه ؛ فلزاما علىّ أن أكون المعين له فى رحلته الجديدة، وحياته الجديدة .. هو لم يطلب ذلك ؛ لكن الوازع داخلى يلحّ

علـيّ .... كيـف لى يـا ربـى أن أسـاعده ، وأنـا المحكـوم بالعمـل والإقامـة فـى اسـتراحة خاصّـة بالمعلمـين ؟!

لا أستطيع ان أستضيفه فيها ، ولو للحظات ! !

وكيف لى أن أتغيّب عنها ؟!

هـل أتركـه هنـا وشـانه ، وأعود لعبـارة صاحب «التروسـيكل» الأخيرة ؟

لقد عادت الآن تتردد فى أذنى ..

– وأنـت راجـع شـاور لأى عربيـة داخلـة البلـد .. اركـب وأنـت مطّمّـن .

ها أنا ذا بصحبة من طلب رفقتى !

سألت «مايك» :

– هل الصحرا البيضا بعيدة عن هنا ؟

وكم من الوقت يلزم للوصول إليها ؟

كان الليـل قـد حـلّ ، ولاحـت النجـوم تتـلألأ فـى السـماء، والقمـر بـدا كبـيرا .. مكتمـلا .. أخـرج « مايـك « ورقـة مـن « تابلـوه السـيارة « كانـت مطبقـة بعنايـة .. تأملها بعـد أن فردها :

– حـوالى مائـتي كيلـو .. قرابـة سـاعتين بالسـيارة ، ثـم قـدم الورقـة إلىّ ..

عبارة عن خارطة لمصر .. خارطة كاملة .. تحمل تفاصيل القطر المصرى بأكمله ، وبالألوان والأحجام .. أخذت أقول فى نفسى :

– عجبا لك يا بلد .. يعرف الغرباء تفاصيلك ، وتضنى على أبنائك رحمك الله يا أمير الشعراء .. سبقت عصرك بقرون عندما قلت :

– أحرام على بلابله الدوح *** حلال للطير من كل جنس ؟!

فعلا لو لم تقل غير هذا البيت لكفاك .. دعنى أجدد لك البيعة بالإمارة يا أمير الشعراء ... وبعد أن قطعت شرودى.. طلبت من «مايك» أن نمرّ فى طريقنا على الاستراحة لآخذ شيئا، ثم نواصل الرحلة ... ابتسم «مايك».. شعر بأنه وجد ضالته .. لمح فى عينىّ شيئا .. أدرك أن عليه أن يواسينى .. قال فى هدوء :

– يجب ألا نستسلم للأحزان مادام مجداف الأمل فى أيدينا ، وشراع الأحلام مازال منصوبا فوق رءوسنا ، ثمّ أوحى إلى السائق أن يسير بتمهّل .

-٩-

وأنت تسير متعمقا داخل الواحات .. يقطع بصرك تل رملى، أو لسان جبلى .. يطل فى وجهك ، وما إن تتجاوزه حتى تجد أشجار النخيل فاتحة أذرعها بشواشيها الكثيفة ... كان «فارس» يقود السيارة ذات الكبينتين بسرعة .. شعرت من خلالها أنه داخل حرب، وعليه مطاردة الهدف ... «فارس» شاب .. قصير .. ممتلىء ..أسمر فاحم .. ذوعينين واسعتين ، وشفتين غليظتين .. ركبت فى الكبينة الخلفية ، وتركت الأستاذ «محسن النوبى» بجواره .. اعتلى الصندوق الخلفى للسيارة شابان .. قفزا كقردين تمرح الحيوية فى جسديهما النحيلين ... قال فارس :

– خف من الهزار يا «حامد أنت ومسعود»، ولم يفتح بعدها فاه بكلمة واحدة .. يكتفى بنظراته كبريد للتعبير عما يودّ أن يقوله .. رجوته أن يخفف من السرعة الجنونية التى يقود بها ، منذ انطلاق السيارة خارج نطاق الحزام السكنى .. ابتسم وهو يمنحنى نظرة خاطفة .. أمسكته من كتفه .. استحلفته بالله .. رمقنى بعينيه الواسعتين وهو

يضحك.. عاد يمارس هوايته ... يتلوى الطريق تحت عجلات السيارة..؛ فتصرخ العجلات، وتلوى عنق الطريق ... النخيل عن اليمين، وعن الشمال .. جنتان .. مدهامّتان، والسيارة تمرق إلى أن اختفت آثار الخضرة، وبرزت أمامنا – فى البعد – قمة على شكل هرم طبيعى .. ظلّت السيارة تتقدم وتصعد .. تداعبها الرمال تارة ؛ فتعوق حركتها ، وتارة أخرى تدوس فوق صخور خرسانية صغيرة ؛ فتقفز مسرعة ... القمة الهرمية بدت متآكلة فى أسفلها .. نالت منها عوامل التعرية ، وكأن طوفان نوح زارها وطاب له المقام فى رحابها ؛ فأخذته فى حضنها ...

– هنا فى هذه المنطقة عثروا على أكبر ديناصور فى العالم !

يالدهشتى !

أخيراً نطقت يا فارس ، لقد أوجعت قلبى .. قلت فى لهفة :

– من الذى عثر ؟ وأين ؟

– أين الديناصور الذى تتحدث عنه ؟

ردّ وملامح الجد تكسو الوجه المعروق :

– يقال إنه فى متحف فى «بريطانيا» ، واستطرد

– تعلم يا أستاذنا .. إن الواحات هذه .. كانت فى العصر الرومانى

مخزن قمح لأوربا كلها ؟!

لم يصبنى كلامه بالدهشة قدر ما أصابنى بالفخار ؛ فلستُ أدرى أفتخر بفارس الذى صار – فى نظرى – واحدا من كبار مثقفى العصر؟

أم أفتخر بالواحات التى كانت ..... وكانت ؟!

لقد بدا فارس ملماً بالتاريخ ، رغم أن هيئته لم تكن تشى بذلك ...

فارس قليل الكلام ، لكنه قال الدرر .. قبل أن يغادر ، ويتركنا ؛ ليعود لنا فى المساء قال :

– اللى ميحبش الواحات ميستاهلش يعيش فيها !

وانصرف ليخبرنا أنه سيأتى فور أن نتصل عليه .

★★★

«الدست والمغرفة» هذه القمة التى نصعد الآن إلى أعلى نقطة فيها ، ومعنا المشاريب الغازية والمياه المعدنية المثلجة ، والفحم اللازم للشواء ...الهواء يوشوش الصخور ، والرمال تتراقص تحت أرجلنا .. أشعر بشىء من الفرحة .. فرحة كامنة .. لم ألمسها منذ زمن بعيد ، أو أستشعرها من قبل ... راح حامد ينفخ فى النار التى أوقدها بعناية بين صخرتين كبيرتين ، ويده تهش عليها بقطعة من «الكرتون» ... وغسل مسعود الخيار والطماطم والفلفل وشرع يعدّ «السلطات»

حاولت أن أساعد أنا وزميلى الأستاذ محسن النوبى ، غير أن حامد ، ومسعود كانا أسبق فى الحلف بكل الأيمان، وبكلام لم أفهم معظمه إلا أنه كان يختتم بأننا ضيوف ولا يصحّ تخديم الضيف !

قطع حامد احتدام الموقف قائلاً :

– هتاكلوا لحمة .. أتحداكم لو كنتوا كلتوها قبل كدا .

ضحك الأستاذ محسن معقباً

– بالفعل أى أكل بناكله دالوقت مأكلناهوش قبل كدا !

ردّ مسعود :

– حامد يقصد إنه هيشوى اللحمة ، وهيحط فيها طعم جديد

– يعنى كدا شكلنا هناكل صوابعنا وراها ! !

– عصر «الثورة» بقى .. طعم تانى ! !

– اللّه يخرب بيتك يا مسعود .. «الدست والمغرفة» ليها ودان وضحك، وبدا صوته يرتفع مرة ثانية

– بلاش سياسة اللّه يخليك .

قال الأستاذ محسن :

– السياسة داخلة فى كل حاجة

– وايه رأيك انت يا أستاذ ؟

قالها مسعود وهو يقدم لى عودا من « الجرجير الأخضر ..

– معك حق .. هو فيه حاجة خربت البلد دى غير السياسة ، وقبل أن أكمل وجهة نظرى قاطعنى الأستاذ محسن النوبى وهو يلوك عودا من الجرجير الأخضرالطازه :

– بس سيبك انت .. مفيش أحسن من سياسة الجرجير !

ثم التفتَ إلى حامد

– دا مش معناه انك تخبى علينا هناكل لحمة ايه ؟

وقبل أن يرد حامد المنهمك فى التهوية وطرد الدخان بعيداً .. زحفت

الابتسامة على وجه الأستاذ محسن النوبى .. قال فى هدوء :

– يكونشى يا واد لحمة راس ؟!

تعالت ضحكاتنا .. عاد محذرا

– اوعى يا واد يكون لحمة من أم الكيلو بجنيه .. بتاعة الحكومة اللى بيقولووا عليها ؟!

– لا والله .. بجد بجد لحمة عمركم ما اكلتوها .

قال مسعود :

– أقول أنا ، وتدينى كام ؟

نظر حامد إليه، بعد أن قرصه من تحت لتحت .

– بـلا ش أنـت .. وبـلاش قفشـاتك السياسـية الله يخليك ! !

– لحمة جملى أكيد .. قالها مسعود واستطرد :

– أظن كدا أنا بعيد عن السياسة !

ردّ الأستاذ محسن النوبى :

– لا وأنـت الصـادق دى سياسـة جملى، وأطلـق ضحكة مدوّية هنا تذكرت فارس ، ولا أعرف سببا مقنعا .. جعله يخطرعلى بالى فى هذه اللحظة !

ثم وجدتنى أقول :

– إلا ممكن، وصمتُّ قليلا ، وعدتُ كالبرق :

– أكيد لحمة غزلان ! !

نظر إلىّ مسعود مندهشاً

– عرفت ازاى ؟! !

– هى بالفعل لحمة غزلان ! !

قال الأستاذ محسن مازحا :

– مـا هـى اللحمـة اللـى قالـت عليهـا الحكومـة لحمـة غـزلان برضو !

وفى حركة لا إرادية رفع يده ؛ ليواجه كفّ مسعود المهيّأة للمصافحة ... دوّتْ ضحكاتنا ، وارتدّ صداها ، والدخان يذهب بعيدا ، ويعود يلفح وجوهنا ، ويخطف من أعيننا البريق ... وقفتْ الشمس معلقة .. حائرة .. خلف «الدست والمغرفة» ، وتمددت الظلال نحو الجهة الشرقية ؛ حيث الزراعات فى الأراضى المنبسطة ... أقراص عبّاد الشمس ترفع رءوسها .. توجّه وجوهها نحونا ، وكأنها تلوّح لنا قبل أن تغمرها الظلال ؛فتعود للانحاء مرة أخرى... انطلق حامد ومسعود .. بدوا كريشتين قذفتهما الرياح .. يتسابقان فى رهان .. من سيجتاز المسافة الرملية ، ويصل أولا إلى المسقى الأسمنتى الذى يطوّق الزراعات ؟

هيّأ محسن «الكاميرا» ، وبدأ التصوير، وعاش دور الحكم، ولاح فى البُعد فارس بسيارته البيضاء .. بدت السيارة وهى تتهادى نحونا كبطّة عرجاء .. آلت على نفسها أن تاتى؛ لتفى بوعدها ... عبر التليفون جاء صوت صابر أبو السعود :

– انتو فين ؟

رئيس اللجنة قلب الدنيا عليكم .. قرر يقفل باب الاستراحة الساعة تسعة ، وهيعمل اجتماع للملاحظين والعاملين ورؤساء الأدوار .. لم تكن لدىّ إجابة حاضرة سوى ..

– يعمل اللى يعمله ...

كررتها له أكثر من خمس مرّات .

قال محسن النوبى :

– لو صابر أبوالسعود كان معانا النهارده ، وأكل لحمة الغزلان ..

كنا اتفضحنا ياه .. الحمد لله .. دا ما بتتبلّش فى بقّه فولة .

ثم تحسس بطنه وهو يضحك :

– اليوم بتاع النهارده يتكتب فى التاريخ .. وكله ولا حامد ومسعود عيال .. تقولشى شياطين !

لم يكن محسن النوبى يدرك سر انشغالى، لقد أسرنى كلام فارس، وحواراته وغدا تفكيرى كله منصبا على الكثيرين ممن يشبهون فارس .. يتجسّد الانتماء بروحه فيهم للوطن.. ترى ماذا لو كان فارس يعمل مسئولا بالحكومة ؟!

هل كان دا يبقى حال البلد ؟!

ثم وقفت أنا ومحسن النوبى على باب الاستراحة ، وقد أوصدت بابها فى وجهى لأول مرة .. قررمحسن النوبى أن يعتلى السور، أما أنا فقلت له

– لازم رئيس اللجنة يفتح لنا الباب بنفسه، ولو وصل الأمر لكسر الباب هو احنا بنسرق والا ايه ؟!

-١٠-

ثلاثة أشياء لا يمكن أن تراها فى الواحات .. الكلاب.. النساء .. والحمير! قالها «برهوم» ونحن فى حرم وجبة الإفطار .. حجرة المطعم اكتظت، والبعض تجمّع أمام التلفزيون، والآخرون حول الطاولة المهيّأة .. بطول الغرفة.. منهم من بدأ فى التهام الطعام ، ومنهم من ينتظر.. والتلفزيون يواصل عرض لقطات لبطولات الجيش المصرى.. عبر مراحل مختلفة مصحوبة بموسيقا عسكرية .. هذه الموسيقا التى تنبعث الآن .. كان لها أثر كبير فى تشكيل وجدانى على المستوى الشخصى ....أخذتُ أتامّل وجبة الإفطار .. فول مطبوخ، وقطعة واحدة من الجبنة النستون ، وبيضة وحيدة .. تتارجح فى ركنها الصغير من «السرفيس»، ورغيف ذكّرنى بأقراص «الجلة» اليابسة التى كنا نلعب بها فى طفولتنا، ونحن فى الصعيد .. حاولت أن أمدّ يدى إلى البيضة ، وتراجعت؛ فلا الفطور أخذنى ،ولا التلفزيون بموسيقاه استطاع أن يكسر شرودى ، ويشدنى ...لاحظ «برهوم» شرودى .. خرج صوته بصعوبة ، وهو يملأ فمه بالبيضة

– أنت مش عاجبك الأكل واللا ايه يا أستاذنا ؟

وبعد أن ابتلع لقمتين من الفول :

– شكلك نفسك مسدودة زيى ، واستطرد :

– والله فعلا حاجة تسدّ النفس !

ابتسمت لهذا الذى انشغل بالأكل ، وعيناه معلقتان بالتلفزيون ، وفى ذات الوقت يدّعى أن نفسه مسدودة .. أوصدت أبوابها فى وجه الطعام .. ذلك الطعام الذى أوشك – أمامه – على النفاد !

قلت فى نفسى :

– فعلا أصحاب العقول فى نعيم !

قال «برهوم» بعد أن أفرغ كوبا من الماء .. أفرغه دفعة واحدة فى فمه المفتوح كالبلاعة، وأشار إلى صورة غطّت خلفية الشاشة

– فعلا الراجل دا بطل قومى .. يستحق عن جدارة ، وبعد أن تجشّأ

– مستنى بفروغ الصبر أشوفه وهو بيحلف «اليمين» فقط ابتلعت ريقى .. جاء صوت «الإكسلنس» – كعادته – مازحا

– اكتر حاجة عملها الراجل دا فى حياته هى حلف اليمين كل ما يترقى يحلف ، وكل ما يحلف يترقى .. شوفتوا ازاى ؟!

وتعالت الضحكات .... كسر طايع شرودى عندما صاح :

– انتو مش ملاحظين حاجة النهارده ؟

التفت إليه معظم الموجودين فى الحجرة .. قال وهو يسلّك أسنانه :

– الفول النهارده مش كويّس !

وأمسك بطنه، واتجه مسرعا إلى الحمّام .

تساءل «الإكسلنس» :

– عارفين صاحبكم مجاش ليه لغاية دالوقت ؟

قطعت العيون تعلقها بالتلفزيون .. التفتتْ إلى الإكسلنس مخلفة وراءها المذيع الذى بدت وتيرة صوته تعلو ... قالوا فى صوت واحد :

– ليه يا فكيك ؟!

ردّ والضحكة تملأ فاه :

– راحت عليه نومة !

قال الأستاذ «محسن النوبى»

– والله فكرة .. تسمح لى أسرقها منك ، واكتبها على «الفيس» !

هاجت حجرة المطعم، وماجت بين مستهجن لهذا الكلام، وبين معجب به، غير أنهم فى لحظة جلسوا وكأنّ على رءوسهم الطير وصوت المذيع يجأر معلنا هبوط الطائرة فى ساحة القصر ....لم يلاحظ أحد انسحابى من الحجرة وأنا أسرق الخطوات سوى برهوم الذى نادانى بأعلى صوته :

– رايح فين يا أستاذ .. لسه بدرى ! !

قال صابر أبوالسعود متعجّبا :

– يا باشا دى لحظة تاريخية .. هيفوتك نص عمرك !

رمقته بنظرة فاترة، ثم قلت معتذرا :

– ورای مشوار مهمّ .

تنبّه الإكسلنس .. قال وهو يقضم أظافره بأسنانه :

– أمّا انت معندكش حق يا أستاذ .. دا حتى الأستاذ عثمان رئيس اللجنة موجود .. منزلش عينه من على التلفزيون من ساعة ما قعد ... أعطيت ظهرى للحجرة.. لم يكن برهوم ، أو الإكسلنس أو أحد ممن هم فى الحجرة يدرك سر انشغالى ... ثلاثة أشياء لا يمكن أن تراها هنا.. الكلاب .. النساء .. والحمير، مازال صداها يتردد فى أذنى.. لو أن برهوم يدرك مدى تأثير عبارته هذه فى نفسى؛ لأتى معى .. يؤازرنى وترك اللحظة التاريخية إياها؛ فالمذيعون سيلوكونها ، والشاشات سوف تتبارى في عرضها ليلا و

نهـارا إلى أن يحـدث الله بعـد ذلـك أمـرا.

★★★

السـاعة تجـاوزت العاشـرة، والشـمس ترسـل سـياطها فـى وجـه مـن يواجههـا .. بـدت الشـوارع – كطبيعتهـا – خاويـة إلا مـن «موتوسـيكل» مـارق هنـا، أو هنـاك ..أكثـر مـن نصـف سـاعة، ولم تبصـر عينـاى آدميـا فـى الشـارع، ولم أتصـادف حتـى بحمـار، أو كلـب .. كلـب واحـد !!

– ياه يا برهوم يبدو أنك فيلسوف !..

أدركت مبكرا ما لم يدركه أحد ..

– ترى ماالذى دفعنى للركض وراء مقولتك ؟!!

هـل هـو الجنـون الـذى حـط رحالـه بـأم رأسـى ؟ أم هـى الرغبـة فـى البعـد عـن العـالم الممـل ؟... فعـلا حقيقـة مـا قالـه السـابقون :

– من خفّ عقله تعبت رجليه .

هـذا الشـارع يفضـى إلى المقابـر ، وذاك الـذى تركتـه يفضـى إلى الجبـل ، والشـمس لا ترحـم !!

زجاجـة الميـاه المعدنيـة أوشـكت علـى النفـاد ...الجبـل .. أم المقابـر .. أم العـودة إلى الاسـتراحة ؟

شُـلّ تفكـيرى، وتقطّعـت أوصاله.....المقابـر التـى أعهدهـا فـى الصعيـد مكشـوفة.. مـأوى للـكلاب الضالة، وربمـا الحمير ..

كنـا نتخـذ مـن أطرافهـا ملاعـب للكـرة .. لم يكـن أحـد منـا ـ ونحـن أطفـال ـ يجرؤ على الذهـاب إليها منفردا .. حتى الكبار !

لا يجـرؤ أحدهـم للذهـاب إليهـا فـى وقـت الظهـيرة ...المقابر فـى الغالـب ـ تضـمّ أغلـى النـاس وأعزهـم علـى النفـس ...المقابـر التـى أعهدهـا ليـس فيهـا شـجر ، ولا زرع ، ولا مـاء .. فقـط بهـا شـىء مـن جريـد النخيـل اليابـس ، أو صبّـارة هنـا أو هنـاك يئسـت مـن الحيـاة ؛ فلـوت عنقهـا ، ثـم ذبلـت .... هنـا علـى مشـارف المقابـر شـىء مـن أشـجار الزيتـون ، والصبّـار الأخضـر، والتـين الشـوكى الطـارح ، فضـلا عـن أشـجار الأثـل !

وقفـت أتأمـل .. كثـير مـن الذبـاب مختلـف الأحجـام، والأشـكال والألـوان، والطنـين .. وكالملاءة الممزقـة بـدا ظـل شـجرة الأثـل الكبـيرة مفروشـا فـى المدخـل الرئيسـى .. وقفـت لحظـة أتفيّـا الظـلال .. وعـبر الأثـير أخـذت أبعـث ثـواب الفاتحـة علـى أرواح الأمـوات، وأخـصّ والـدىّ المدفونـين هنـاك فـى الصعيـد !

وأنـا أهيـم بخاطـرى حـول الآخـرة .. حطّـت علـى وجهـى ذبابـة خضـراء

– ترى من أى الجنان جئت ؟

لا ..... لا ليس فى الجنة ذباب !

الذبابة الخضراء روح من أرواح الجنة .. هذا ما رسّخته فى ذهنى حكايات أمى ... هل تحوّل هذا الاعتقاد إلى يقين ؟!

كلما هششتها أحدثت طنينا .. أذهب طمأنينة النفس، وعادت مرة أخرى تحطّ على وجهى ، وعلى بعد أمتار معدودات لفتت انتباهى مقبرة حديثة العهد ؛ حيث يكسوها اللون الأخضر وتزينها آيات قرءانية .. كتبت بعناية باللون الأحمر الداكن ... أمامها يجلس رجل مسنّ .. يفترش التراب .. اقتربت منه، وألقيت السلام .. قلت ربنا يرحم أمواتنا جميعا .. التفت إلىّ .. عيناه حمراوان .. تفيضان بالدموع .. قال فى صوت واه ، وهو يتحسّر:

– زينة الشباب !

قلت مواسيا إياه :

– ربنا يغفر له، ويرحمه .

التفت إلىّ بعد أن زمّ شفتيه .. كادت تجاعيد وجهه تنطق .. ولم يقو على تمالك أعصابه؛ فانهار قائلا :

– دفنت من بعدهم أمهم .. دفنتها، وبقيت وحدى زى قرد قاطع ...آجى كل يوم أقضى النهار هنا .. مش عارف ليه الموت بيعاندنى ؟

قلتُ، والأسى يعتصرنى :

– ربنا يصبّرك .

تغلّب على النهنهة

– تلاتة راحوا مرّة واحدة ، ثم مسح عينيه وجبهته بكم جلبابه الواسع .. قال فى صوت متقطّع :

– تفتكر ليه الموت مش راضى يجينى ؟

هرب منى الكلام وأنا أتأمل الآية على واجهة القبر «**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**» (آل عمران) (الاية ١٦٩)

وجدتنى أقول مكرراً دون تردد

– اصبر، واحتسب ، وأجرك عند الله .

قال الرجل :

– ونعم بالله .. يكفينى عندما أجلس هنا هفهفة رياح الجنة .. وتأوه وهو يخرج زفرات متلاحقة :

– ياه الحمد لله

★★★

سرت نحو الاستراحة ، بعد أن ألقيت السلام .. مخلّفا ورائى جراح ذلك الرجل الطاعن ، وقد نكأتُها من غير

قصد .. مضيت، ولسانى معقود على الاستغفار .. تطاردنى عبارة «برهوم»

– ثلاثة أشياء لا يمكن أن تراها هنا ... الكلاب .. النساء.. والحمير .

★★★

دخلت باب الاستراحة ، والدوار يكاد يقتلع رأسى، وطنين الذباب لا ينفك يفارق أذنى ، ودموع الرجل ذلك الطاعن تترقرق فى عينى .. وقبل أن أضع جسدى على حافة السرير كان «برهوم» قد لحقنى ، وبيده السرفيس مملوءا .. ينام فيه ورك الفرخة فوق المكرونة .

– أنت كنت فين كل دا ؟

– قلبت عليك الاستراحة ، ولما ملقيتكش قلت آخد لك «الغدا».

وقفت على لسانى الكلمات .. ابتسمت ثم أغمضت عينى ...

★★★

فى المستشفى المواجه لباب الاستراحة .. كان كل شىء حولى أبيض الحوائط .. الملاءات .. السيارات .. المرضات ، ونقابهن .. ترحّمت على شاعرنا أمل دنقل ، وتاملت باب الغرفة هل يحمل الرقم ثمانية ؟

مال البلّوصى علىّ ، وهمس :

– حمد الله على السلامة .. أخيرا شفنا النسوان على إيديك ! !

المرضات هنا لابسين النقاب .. بس الشهادة لله النقاب الأبيض بتاعهم حسّسنى إنى شفت نسوان بجد ، وتمادى فى الضحك ..والا اقول لك :

– نسوان مين ياعم دول ملايكة !

قال الإكسلنس وهو يقبض على يدى بكلتا يديه :

– اللى حصل دا .. كدا يا صاحبى عشان خرجت ، واتفسّحت من غيرى !

وقال الشيخ عبد الفضيل :

– متقلقش .. أنا اتعرّفت على واحد هنا .. وعدنى إنه هيجيب لنا «الجمّار» وهتحلوّ ، وهتبقى زى الفل .. يالله قوم عشان تطمن شكرى !

حملتنى ابتسامة الجميع إلى الاستراحة مرة ثانية بعد ليلة فى أحضان اللون الأبيض، والقلوب البيضاء .. تملأ مخيلتى صورة شجرة الأثل، وقد انحسر ظلها .. وبقى الذباب بطنينه.. يناوش من تحمله أقدامه ، ويذهب إلى هناك.

-١١-

فى اجتماعه الطارىء .. أشار رئيس اللجنة إلى السلبيات، خلال الفترة الماضية .. أكّد على أنه سوف يستخدم سلطته.. يتحكّم فى باب الاستراحة .. يغلقه فى تمام التاسعة، ولا عذر لأحد .. ثم أخرج ورقة ، ورفعها فى وجوهنا ..

– هذا لفت نظر جاء من «الكنترول»... الحيثيات كتيرة، ولكن أهم ما فيه . أن الإجابات متشابهة .. والشطب شبه موحّد .. فى نفس الأسئلة ... واستشهد بواقعة حدثت فى الماضى القريب فى نفس اللجنة .. تسبّبت فى مجازاة رئيس اللجنة، والمراقب، ورئيس الدور، والملاحظين !

قال الإكسلنس : :

– يعملوها، ويطلعوا منها زى الشعرة من العجين .

– من فضلك .. مديتكش الكلمة .. قالها رئيس اللجنة محاولا إحراج الإكسلنس الذى قال بدوره :

– وهى محتاجة كلمة ؟!

القصّة .. قصّة ولاد الأكابر .. ييجوا هنا.. يمتحنوا .. يتكتب لهم، والغلابة يتجازوا ، ويتشهّر بيهم !

بس الشهادة للّه الجرايد مسابتهمش .

ضرب رئيس اللجنة بكفّه على المنضدة الخشبية الكبيرة ضربات متلاحقة ، وارتفع صوته :

– مش عاوزين نبقى زيهم .. نكرر الغلط ، والجرايد تتسلّى بينا ؟

واختتم كلامه قائلا :

– اللى هيقع .. هيشيل الليلة لوحده .. ما أنا لازم أحمى نفسى !

هنا انفتح باب الأحاديث الجانبية، والنقاشات .. تجاذب «الملاحظون».. ارتفعت أصواتهم .. بعضهم على بعض نظر محسن النوبى إلىّ مبتسما :

– قول حاجة يا أستاذ !

لم أكن أدر ماذا أقول ؟ وكيف أسمح لنفسى بالكلام .. مع مجموعة من الغوغاء .. لم يتعلّموا ـ بعد ـ أدب الحوار .. الجميع يرى نفسه أنه على حق ، وأن رأيه هو الصواب ، ولا يرى فى آراء الآخرين شيئا يعجبه ... الساعة أوشكت على التاسعة، والموعد شبه المحدد لقطع النور يداهمنا .. لم يكن بوسعى غير أن أرفع صوتى، وأجهر به صراحة :

– يا جماعة إحنا كلنا فى مركب واحدة .. ميصحّش القفز منها، وتركها تغرق عند أول عاصفة .

– كلام عين العقل

قالها رئيس اللجنة، وأثنى علىّ ، وأكّدها شكرى ، وراح عبدالفضيل يردد :

– طيب اقروا الفاتحةّ

★★★

فى اللجنة الأولى .. جلس الشيخ عبدالفضيل على الكرسى.. فى مؤخّرة الفصل .. أسفل المروحة الوحيدة المدلّاة من السقف الواطىء .. بينما جلست مدام تهانى بالقرب من الباب .. وجهها لوجه الطلاب ... عيونها الواسعة ، ونظراتها الحادة حدّت من مجرّد محاولة الالتفات .. صوت المروحة أشبه بصوت ماكينة الطحين التى لم أعد أرها ،أو أسمع لها صوتا منذ ربع قرن أو يزيد ، والهواء الذى تحرّكه ليس أكثر من أنفاس الطلاب ، وتأففهم من الأسئلة .. مصحوبا بالعرق ، ورائحته ... توقّف صوت المروحة تماما، وظلّ صوت الشيخ عبدالفضيل ينبعث وحيدا ..

– إف ..... الدنيا حرّ .. قالها وليد ؛ ليكسر حاجز الصمت ، وليفسح المجال لتعليقات زملائه .

زعقت مدام تهانى :

– خليك فى ورقتك أحسن ... العملية مش ناقصة ! !

أدار الشيخ عبدالفضيل وجهه إلى الجهة الأخرى ، ووتيرة صوته تعلو أكثر، فأكثر ...

– يا أستاذة .. اللجان عندكم فى مصر سايبة !

– هناك بيغشّوا بالذوق، وبالعافية .. وانتوا ـ هنا ـ شادّين علينا .. عملنا لكم ايه مش عارف ؟

وقفتُ فى مواجهة هذه الأصوات .. كان علىّ أن أهدّىء مدام تهانى أولا؛ أمّا الطلاب فالتعامل معهم ـ بالنسبة لى أسهل ... ابتسامة صغيرة .. وطبطبة على كتف أحدهم ... بقى الشيخ عبدالفضيل يسند رأسه المستسلم لقبضته المضمومة..مغمض العينين .. حمدت الله أنه يجلس فى مؤخّرة الفصل، وعلى الرغم من ذلك ترك بعض الطلاب أقلامهم، وأخذوا يتغامزون .. تغالب الضحكة أحدهم؛ فيضع رأسه بين ذراعيه على المقعد حاجبا بذلك ورقة الإجابة ..... فتح عبدالفضيل عينيه ، وتأمّل المروحة التى ارتخت أطرافها .. جهر بصوته وهو يتثاءب :

– مَن غشّنا؛ فليس منّا .

ردّ وليد مازحا ، بعد ان ألقى القلم فوق ورقة الإجابة :

– ومن حمل علينا السلاح ؛ فليس منّا .

ضحك عبدالفضيل :

– اللّه يفتح عليك .. ياللّه غش .. قصدى حل !

غاصت اللجنة كلها فى الضحك ، وتعالت الضحكات أكثر ، وأكثر عندما وقف رئيس اللجنة بنفسه داخل اللجنة .. عادت المروحة تئنّ ، وصوت وليد يدوّى :

– نورتنا يا أستاذ !!

رفع رئيس اللجنة جريدة مشيرا إلى صدر صفحتها الأولى

– ريحتكم فاحت .. شكلكم ناويين تسجنونا .. ثم حذّر، وهدد ، وتوعّد قبل أن يغادر .

★★★

العجوة .. زيت الزيتون .. البلح ، ورمضان على الأبواب، و «الملاحظون» يتبارون فى شراء أجود الأنواع .. ظنا منهم أنها فرصة ذهبية قبل أن ياتى رمضان، وتختفى هذه السلع من هنا ... جهّز صابر أبو السعود خمس كراتين كبيرة .. بها ما لذّ، وطاب .. حشرها بين الأسِرّة وكلما سأله أحدهم أجاب :

– هدايا ... لازم نخزى العين !

لسان حال الإكسلنس يردد :

– أصل البعيد فى إعارة ! !

كلما اقترب موعد الانتهاء من المهمة الرسمية زاد الضغط على محسن النوبى ؛ كى يربّط مع أحد سائقى الميكروباص ....الحقائب ، والكراتين ، والمنقولات الأخرى لا يستطيع أوتوبيس نقل عام أن يتحمّلها ؛ فالميكروباص شرّ لابد منه ، لكنه فى هذه الحالة أفضل بكثير من اوتوبيس النقل العام ، فضلا عن أنه سيوصّل كل واحد إلى أقرب مكان له !

قال محسن النوبى :

– السوّاقين اتفقوا علينا ...

آخر واحد صمم على تمانين جنيه للفرد وعشرة جنيهات للشنطة ، أو الكرتونة !

– ياه... من أربعين جنيه لتمانين جنيه ... والله افترا.. قالها طايع ، دون أن يسال عن الأسباب .

– البنزين شاحح ، والسواقين بيتصرّفوا فيه بنظام السوق السودا دا غير المشوار الخاصّ بكل واحد !

أصرّالبعض على الموافقة ، وآخرون أرغموا أنفسهم ، وقلّة تنصّلوا غير أن الرأى النهائى كان مرهونا بمبلغ معيّن.. يأخذه السائق ، وليس مهما مَن الذى دفع .. اتفقت أنا ومحسن النوبى والإكسلنس على أن نجمّع من الزملاء على ستين جنيه ، ونتحمّل نحن العجز استحسن الجميع

هـذه الفكـرة، وجعلونـا بمثابـة كبـش فـداء ....اعتلـى فـارس الميكروبـاص ..رصّ الكراتـين ، والشـنط بعنايـة .. وقـف فوقهـا.. أخـذ يحزّمهـا بالحبـال، وبعـد أن فـرغ مـن ربطهـا بإحـكام .. صعـد فوقهـا .

– واللّه حـرام .. الشـنط ، والكراتـين دى كلهـا، وتمانـين جنيـه بـس!

بـدت علامـات الضجـر علـى أوجـه المتأهبـين للركـوب .. كاد العقـد أن ينفـرط .. تناثـر الـكلام ، والتأفـف ...

– مـن أعلـى قمـة الدسـت والمغرفـة .. فـارس الجـن يحييكم، ويتمنّـى لكـم سـفرا مريحـا .. وتصحبكـم سـلامة الوصـول ... تجـاوب محسـن النوبـى الابتسـامة تمـرح فـى وجهـه :

– وحيـاة لحمـة الغـزلان .. تسـوق بينـا بالراحـة .. عاوزيـن نـروّح لولادنـا سـالمين ..ربنـا يسـتر طريقـك .

بـدت الكراتـين كصخـرة عملاقـة اقتُطِعـت مـن ظهـر جبـل ، لتوضـع فـوق ظهـر الميكروبـاص .

★★★

تقـدّم الميكروبـاص .. ظـلّ يترنّـح علـى شـكل سـفينة .. تغـوص فـى المـاء .. الأسـفلت سـاخن، والعجـلات تمـددت عليـه، والهـواء يضـرب الكراتـين .. صـوت الشـخير داخلـه يعلـو علـى صـوت الموتـور المحمّـل بأكثـر مـن طاقتـه .. عينـاى

تبحثـان عـن شـجرة تنبـت بالقـرب مـن الطريـق ؛ حتـى ولـو كانـت بطريـق الخطـأ، لكـن هيهـات .. يصـارع سـراب الصحراء المنبسـطة بصـرى؛ فيرتـد إلى داخـل الميكروبـاص خاسـئا وهـو حسـير !

يتلذذ فارس بصوت الشيخ كشك .. يقول :

– الشـيخ كشـك لـه سـرّ عجيـب ..طـول مـا أنـا مشـغّله عينى مفنجلـة علـى الطريـق .. عنـد أول كمـين أخـرج فـارس الأوراق، وأطلّـت مـن بينهـا أذن ورقـة حمـراء .. ابتسـم أمـين الشـرطة، وأشـار قائـلا :

– طريق السلامة يا أبو الفوارس .

تعجّبت .. ألهذه الدرجة بلغت شهرتك يا فارس ؟!

لم أستطع أن أحبس الكلام .

– لّـا أمـين الشـرطة ياخـد خمسـين .. أومّـال لـو ظابـط كان خـدكام ؟!!

– مـا هـو خدهـا هـو والظابـط بتاعـه .. دول عشـان معرفـة بيرضـوا بقليلهـم .. المشـكلة فـى الديناصـورات اللـى فـى مصـر، وأطلـق ضحكتـه المميـزة .

قلت فى نفسى

– ديناصورات !

كلامك موجع أيها الفارس .. منذ عرفتك فى رحلة الدست والمغرفة ، وأنا أزعم أنك سليل الحكماء !

– طب ..الديناصورات بتوع مصر.. بتتعامل معاهم ازاى ؟

– العملة الورقية مبتتصرفش عندهم ! !

دول واخدين على الهدايا .. كل «دور» كرتونة .. بكون مجهّزها من مجاميعه ... عجوة ... بلح ... زيت زيتون ، والذى منه .. واستأنف مازحا

– بس الحمد لله ديناصورات مصر فيها الروح ، أما الديناصور اللى فى بريطانيا متحنّط ، ويا عالم لسه موجود عندهم والا طفش !

ثم تنبّه إلى سيارة قادمة من الخلف .. تعطى إشارات ضوئية..أفسح لها المجال لتمرّ .. مرقت من جوارنا وهى تعوى .

– ربنا يسلّم .. قالها ، وأكّد .. شكلها حادثة جامدة ... فتح صابر أبوالسعود عينيه .. شاهد مبان لشركات البترول؛ فأوقظ رفعت البلوصى المستسلم للنوم ، تجوّل البلوصى بعينيه، وما إن أبصر المبانى على مشارف العاصمة، ولاحت رءوس الأهرامات من بعيد حتى جأر باعلى صوته

– الحمد لله .. أخيرا هنشوف نسوان ! !

– ياه .. كفّارة

قالها سعيد عويجة ، وانبروا يرددون فى صوت واحد :

– سالمة يا سلامة .. رحنا ، وجينا بالسلامة ....

★★★

كانت عيادات المسالك قد اكتظت ، وكان هذا الموعد يؤجّل للمرة الثالثة؛ ففى المرة الأولى تعطّل بسبب انقطاع الكهرباء المتكرر، وقبلها تعطّل الجهاز لفنيات خاصّة .. وما إن تمّ إصلاحه؛ حتى أبلغنى الدكتور بأنه علىّ أن أكون صائما لثلاثة أيام قبلها إلا من سوائل دافئة ... أغمضت عينىّ، واستسلمت لصدمات تأتى بعدد دقّات القلب لا يشغلنى سوى كيفية توفير بقية المبلغ المتفق عليه .. أربعة آلاف جنيه !!

رائحة التعقيم تسدّ علىّ مسالك التنفس .. تشعرنى بالموت المحلّق من حولى ....حصوة لا يتجاوز قطرها السنتى متر .. تفعل بى كل هذا !

انسداد فى الحالب .. مغص كلوى متواصل .. لم تفلح «الفيلية» التى جلبتها من الواحات خصّيصا معه ، ولم تستطع أن تحدّ منه .... لقد كنت – طوال الفترة – أشرب مياه معدنية .. ما بال مَن كانوا يشربون من الكولدير أمثال الشيخ عبدالفضيل ؟!

ربما تحمل كليتاه الآن حصوات .. قد يتجاوز قطر الواحدة منها الخمسة سنتى مترات !

صدمات الجهاز موجعة .. بلغت مداها مع امتلاء مثانتى ..

– كفاية يا دكتور .. لا أحتمل .. أنزل الحمّام ، وأرجع لك تانى .. مش قادر .. بدوت كأنى أصيح فى البرّية .. لا شىء يتعاطف معى – هنا – سوى التوجّعات ، والآهات التى تأتى من غرفات مجاورة ...

– لماذا لا تقطع الكهرباء الآن ؟!

يالقسوتها ! !

– مَن – بربى ياخد اللى عاوزه ، ويفصلها عن الجهاز ؟

– يا دكتور..... الحمّام ..... مش قادر، وحاولت الاعتدال إلا أنّ «البنج» أوهن أطرافى، وألجم حركتى ....

– مثانتى يا دكتور ... راح تنفجر ، وجاءنى صوته هادئا

– الحمد لله .. خلاص ... أخذت المرضة تنزع «الإبر» والمحاليل عن جسدى المنهك ، ثم حملونى إلى الحمّام ...

★★★

فردتُ الخطاب الموجّه من المستشفى الخاص، و «الروشتّات» ، والأشعّة أمام دكتور التأمين الصحى؛ ليعتمد لى «إجازة» .. حكّ خلف أذنه وهو يتفحّصها، ثم عندما

شاهد أذن الورقة الحمراء .. تطلّ من بين الأوراق .. اتكأ مسندا ظهره؛ ليملأ ظهر الكرسى العريض، ثم قال :

– مش كنت عملتها عندنا ؟!

صحيح المستشفيات بتاعتنا ميّتة .. بس عملية زى دى كان ممكن نتصّرف، ونعملها لك .. على العموم حصل خير !

ثم أجرى سن القلم الأحمر فى أسفل الخطاب، وأشار إلى الغرفةالتى سأختم فيها «بختم النسر»؛ ليبرز النسر فاردا جناحيه !

★★★

ودّعت التأمين الصحى، وأنا أترحّم على مستشفياته الميتة، وعلاجه المرصود لكل الأمراض .. لم يبق فى مخيلتى غير كيفية توفيرالمبلغ الذى استلفته من أجل العمليّة ، وإمكانية سداده فى أقرب وقت ، ثمّ التفكير فى الاستصلاح، وإقامة ذلك المشروع الذى عزمت على تحقيقه على تلك الأرض البكر مهما كان الثمن .

القاهرة / سبتمبر ٢٠١٤

المؤلف في سطور

* عبد الناصر المُطيفي

- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو رابطة الأدب الحديث (أبللو)
- مواليد / الغنايم / أسيوط
- تخرج في / دار العلوم
- يعمل معلماً وخبيراً للغه العربية بالجيزة

* المؤلفات

- الباب الموارب ..... قصص ٢٠٠٨
- الحلقة المفقودة ..... مسرحية ٢٠٠٩
- اللبط وقصص أخرى .... قصص قصيرة الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٠
- النخل البحري ..... قصص قصيرة ، هيئة الكتاب ٢٠١٢
- طعم الشاي ..... قصص قصيرة ، وومضات ٢٠١٣
- له تحت الطبع ..... صدى الصمت .. ومضات

* الجوائز

- جائزة جامعة القاهرة ١٩٩٠
- جائزة نادى القصة « الدورية ٢٠٠٦
- جائزة ساقية الصاوى ٢٠٠٨
- جائزة ساقية الصاوى (قصة الدقيقة الواحدة) ٢٠٠٩
- جائزة كتاب الجمهورية ٢٠١٠

تنشر أعماله فى الجرائد والمجلات الأدبية المتخصصة

ومنها / جريدة المساء – مجلة الثقافة الجديدة – مجلة نادى القصة

جريدة القاهرة - جريدة المسائية ، وغيرها .

تنويه

الشخصيات الواردة في الرواية انماط حياتية وليست شخصيات واقعية او حقيقية ، فهى من خيال المؤلف لكنها تعيش بيننا وتتفاعل معنا

للتواصل مع المؤلف

ت / (٠١٢٨٧٦١٥٣٠٠)

Email : abdlnaser.alotefy@yahoo.com

نموذج من امتحان كلية الأداب جامعة حلوان وسؤال فى الرواية المقررة على طلاب شعبة الإذاعة...رواية - (إستراحة فى الباويطى)

جامعة حلوان
كلية الاداب
وحدة القياس والتقويم الطلابى

القسم : الإعلام	الشعبة الدراسية : الإذاعة والتلفزيون	الفصل الدراسى : الأول2015- 2016
الفرقة :الثالثة	امتحان مادة : النقد والذوق	
تاريخ الامتحان / /	الدرجة الكلية (20) زمن الامتحان : ساعتان	عدد صفحات الامتحان :1
أستاذ المادة :د/عصام محمود		

أجب على ثلاثة أسئلة فقط مما يأتي على أن يكون الأول منها :

1) "المنهج النفسي من أهم المناهج النقدية التي تعنى بكل من المبدع والمتلقي" في ضوء العبارة السابقة وضح أهم التطبيقات النفسية التي يمكن الاستفادة منها في مجال الأدب.

2) "مزج تامر كرم بين نصي سوفوكليس وجان أنوي في أسطورة أنتيجون؛ ليخرج لنا رائعته (هنا أنتيجون)". تناول بالنقد والتحليل العناصر الفنية في هذا العرض .

3) وضح كيف تفاعل باسم فتاوي مع النص الأصلي لمسرحية الوردة والتاج للكاتب الإنجليزي جون بريملي ليخرج لنا مسرحية (روح).

4) تميز الفن الروائي عند عبد الناصر العطيفي بعدة خصائص تفرد بها. ناقش هذه العبارة مع التطبيق على رواية(استراحة في البويطي).

5) مثلت أزمة (موت الأب) هاجسًا في فكر يوسف إدريس عبر عنها في أكثر من قصة له، وبأكثر من صورة فنية" ناقش هذه العبارة موضحًا أهم الخصائص التي تميز بها.

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع